٥٤٠

540

دار م. النحاس

HARLEQUIN

قلوب عبير

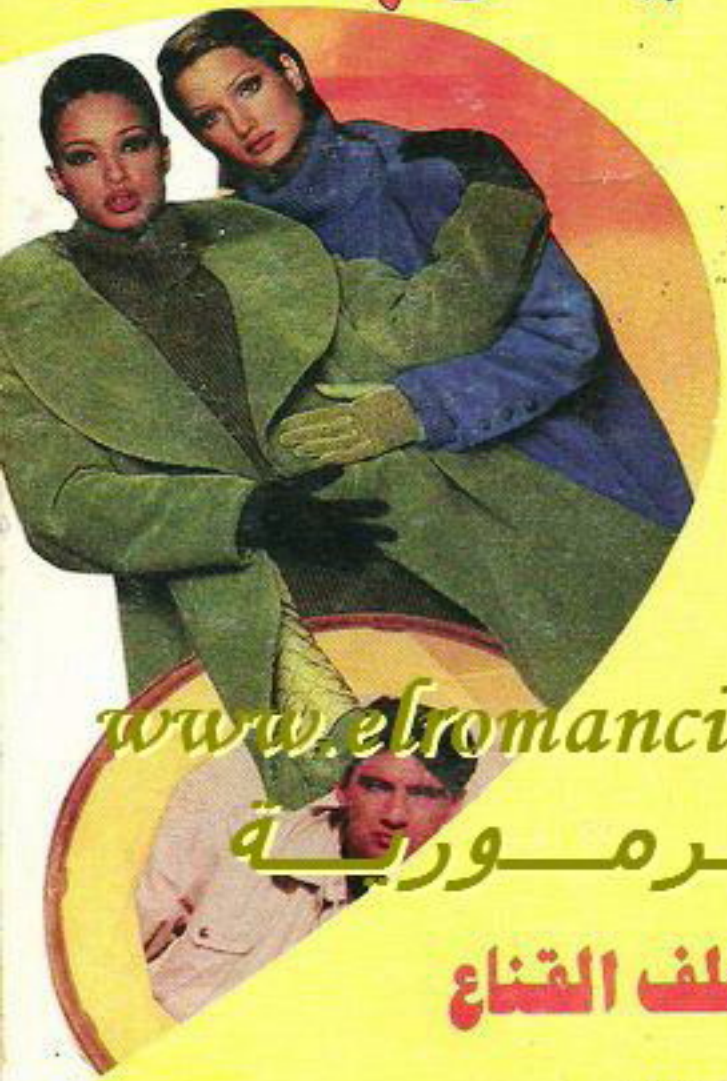

www.elromancia.com

مرمورية

رجل خلف القناع

هيلين بروكس

رجل خلف القناع

هيلين بروكس

عزيزتي فيكي،
إن الأشياء لا تتغير هنا. وأعتقد بأن حياتي ستظل لسنوات عديدة قادمة دون أن يكون هناك أمل في أي تغيير...
عندما كتبت ستيفاني هذه الكلمات لصديقتها المفضلة، لم يكن لديها فكرة عن التغيير الذي ستكون عليه حياتها.. وأن هانتر رايان، سرعان ما سيقلب عالمها رأساً على عقب، لقد كان يتهكم على ستيفاني نظراً لتصرفاتها التي لا تتناسب مع معنى اسمها...

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل - سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - مصر: ٤جنيه.

«ما الذي حدث يا ستيفاني؟ اخبريني؟»

أجابت: «لا شيء.» وكانت تحاول أن تهدىء من العاصفة التي تعتمل في صدرها! إنها لم تبك حين مات والدها... لم تستطع ذلك كان عليها أن تبقى قوية من أجل أخيها توبي الذي كان منهاراً معنوياً وعاطفياً من جراء الصدمة. إن عليها أن تكون صامدة متمالكة لنفسها. إن توبي بحاجة إليها.

هيلين بروكس

تعيش هيلين بروكس في نورتامبتون شاير، وهي متزوجة ولها ثلاثة أولاد. وبما أنها أم وسيدة منزل مشغولة على الدوام، هذا إلى أنها ملتزمة فإن اوقات فراغها ثمينة، ولكن هواياتها تشمل القراءة، والعناية بالحديقة، والتنزه. وقد تحقق طموحها وتوقها إلى الكتابة، عندما ابتدأت الكتابة وهي في سن الأربعين لترسل النتيجة إلى دار نشر ميلز وبون.

٥٤٠

khouloub Abir 500

رجل خلف القناع

هيلين بروكس

النشر
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

عزيزتي فيكي،

لقد فرحت كثيراً وأنا اعلم انك جئت في المرتبة الأولى في الكيمياء ولا شك انك نلت أخيراً حصيلة تعبك واجتهادك. والآن، ما هو شعورك وأنت تضعين قدمك على أول الطريق الذي يقودك إلى ان تصبحي طبيبة؟ إنني لا اريدك، بعد الآن، أن تتحدثي عن شعورك بالذنب عندما تكتبين إليّ عن أخبارك. فأنا قد تركت الجامعة بكامل إرادتي عندما قررت تكريس نفسي للعناية بأخي توبي بعد وفاة أبويّ. لم يرغمني أحد على ذلك، كما أنني لم اندم على قراري هذا لحظة واحدة. وحين يتعدى الثانية عشرة، سأعود إلى دراستي في كلية الطب. إنني أحب أن تكتبي إليّ دوماً فذلك يبقيني على صلة بكل ما اعتدت عليه.

الأمور ما زالت كما هي هنا، فلا شيء يحدث في هذه البلدة، بريبروك، يستحق الذكر. واعتقد بأن حياتي هنا مرسومة لسنوات عديدة دون حظ في التغيير، كما أرى. ولكن بيني وبينك، أجد هذا شاقاً عليّ أحياناً. انما هذا حسن بالنسبة إلى توبي، فهو بحاجة إلى عناية وشعور بالطمأنينة اكثر من أي انسان آخر. يجب أن أنهي رسالتي الآن وإلا تأخرت عن عملي. فأنا اكتب إليك الآن بسرعة لأخبرك عن

سروري بأخبارك الطيبة. انتبهي إلى نفسك وداومي على الكتابة إليّ.

صديقتك: ستيفاني

وما أن طوت ستيفاني الرسالة لتضعها في المغلف، حتى ابتدأ ذلك الشعور بالحسد الذي انتابها عقب تلقيها رسالة فيكي هذا الصباح يتلاشى. لقد شعرت بالسرور لأجل صديقتها. أما دورها هي فربما يتبع لاحقاً... كلا، ليس ربما، وإنما الأمر راجع إليها هي، وهذا ما سيكون. ولا فائدة من البكاء الآن على ما مضى، ولكن، عندما يحين الوقت، فستكون هي على استعداد.

لقد أحبت دوماً العمل في المستشفيات، إما في المختبر، وإما طبيبة إذا كانت جدارتها تسمح بذلك، وليس ثمة هناك ما يستوجب تخليها عن حلمها هذا، وكل ما في الأمر أنها أرجأته إلى وقت آخر. لقد كانت الثمانية عشر شهراً الماضية صعبة حقاً، ولكن توبي أصبح الآن بحالة أفضل، والأمور تتحسن كل أسبوع، ولكن... وتنهدت وهي تلقي بنظرة على المطبخ المغمور بأشعة الشمس، لو أن الأمور ليست بهذه الرتابة التي تدعو إلى الملل والضجر.

«ستيفاني... ستيفاني... أسرعي.»

كان هذا هو صوت أخيها الحاد قبل أن يندفع إلى الداخل، ملطخاً الأرض تحت خطواته بالوحل الملتصق بحذائه.

وصرخت به وهي تشير إلى الأرض القذرة: «توبي، لطالما طلبت منك أن تمسح قدميك قبل الدخول... على كل حال، كنت أظنك ذهبت إلى المدرسة.»

أجاب: «قلت لك اسرعي.» وتابع قائلاً وهو يتقدم نحوها بسرعة ملطخاً الأرض بالمزيد من الوحل: «لقد حصل حادث.»

قفزت من مكانها خلف مائدة المطبخ، هاتفة بفزع: «حادث؟ أين؟»

أجاب وهو يدفعها نحو الباب الخلفي قائلاً: «إنه هنا. خارج البيت.» واندفع راكضاً امامها حول الكوخ مجتازاً الطريق الذي ينمو العشب حوله، ليصل إلى الطريق الريفي العام، حيث وقفت هي فجأة، متجمدة في مكانها.

أخذت تحملق بعينين جاحظتين في ما بقي من سيارتها الصغيرة التي كانت الآن مسحوقة بين الحائط الحجري السميك الذي يحيط ببيتها وحديقتها، وبين سيارة فارهة مترفة من نوع رانج روفر، وهي تهتف بأسى: «آه، لا. لا يمكن ان اصدق هذا.» ولم يبد على السيارة الأخرى أثر واضح للاصطدام، ولكن السائق، وهو رجل في أواخر الثلاثينات من عمره، وقف يحدق فيها غاضباً وهي تقترب وكأنها هي التي صدمته.

قالت تخاطبه بغضب: «كيف حدث هذا؟ لقد كنت أوقفت سيارتي إلى جانب الطريق كما ترى. فاتساع الطريق يكفي لمرور دبابة لو كنت أنت تحسن القيادة.»

رد عليها بحدة: «لو كنت أحسن القيادة؟ هل لك أن تسكتي لحظة...»

ولكنها تابعت تقول بغضب: «انظر إلى ما فعلته بسيارتي.»

وجعلها الغضب تتكلم دون وعي، وهي تتابع قائلة: «على كل حال، ما الذي جعلك تقود سيارتك بهذه السرعة المخيفة؟»

هتف بها أخوها توبي الذي كان يشدها من ذراعها منذ دقائق محاولا جعلها تستمع إلى ما يقول، ولكنها تفضت ذراعها من يده بغضب، وهي تعود فتحول بصرها إلى الرجل الواقف أمامها.

عادت تسأله بعنف وهي تنظر إلى بقايا سيارتها المهشمة: «كم كانت تبلغ سرعتك ما جعلك تفقد السيطرة على سيارتك بهذا الشكل؟»

صحيح أن سيارتها كانت قديمة ولا تكاد تساوي شيئاً، ولكنها كانت تعني، بالنسبة إليها، سيارة جمة المنافع تأخذها حيثما شاءت ولا تخذلها أبداً مهما كانت حالة الجو. انها لن تستطيع ان تشتري سيارة أخرى، كما أن نقود شركة التأمين الزهيدة لن تكفي. وعادت تقول: «انني لا استطيع ان اصدق...»

أسكتها بحركة من يده وهو ينظر إليها بجمود قائلاً: «لا تستطيعين أن تصدقي؟. على كل حال، فإن تصديقك أو عدمه لا يهمني مطلقاً، يا آنسة...»

أجابت تقدم نفسها إليه بلهجة غاضبة، بينما الشرر يقدح في عينيها لعدم إظهاره أية بادرة لندم أو اعتذار: «ان اسمي هو ستيفاني موراي.»

عاد يشير إلى اخيها بنفس الغطرسة ما جعلها تتمنى لو تضربه، وهو يقول: «وهذا؟»

أجابت بحدة: «انه أخي توبي. والآن، ماذا بالنسبة إلى سيارتي؟»

أجاب ببرود وهو ينقل بصره من أخيها إلى وجهها المتوهج: «انك محظوظة حقاً إذ يقتصر الضرر على سيارتك.»

نظرت إليه وكأنها تعتبره مجنوناً وهي تردد قوله: «محظوظة؟ أتدمر سيارتي ثم تقول انني محظوظة؟» كانت تعلم أن صوتها قد أصبح صراخاً الآن، ولكن غضبها كان يزداد كلما رأت برودة وعجرفته تلك. وتابعت تقول: «حسناً، دعني أقول لك، يا سيد مهما كان اسمك، إننا نعتمد على هذه السيارة في كل شؤوننا. كيف تظنني سأذهب إلى عملي...؟»

قال وهو ينظر ناحية توبي عابساً: «ان كيفية ذهابك إلى عملك أمر لا يخصني، يا آنسة موراي... على كل حال، لو لم انحرف بهذا الشكل عندما اندفع أخوك أمام سيارتي، لكان أخوك هذا ميتاً الآن. يا له من غلام غبي هذا الذي عندك.»

قالت: «كيف تجرؤ على هذا القول؟»

أجاب: «انني أجرؤ على فعل اكثر من مجرد قولي هذا، إذا قفز انسان فجأة امام سيارتي من حيث لا أعلم. فأنا، مثلاً، تتملكني الرغبة في تلقين هذا الأحمق الصغير درساً لن ينساه مدى حياته.»

نظرت طويلاً إلى ذلك الوجه البارد الساخر، وهي تقول: «إذا أنت لمست أخي بإصبعك، فستندم. فهو ليس أكثر من صبي حدث.» ولم يكن صوتها بنفس الحزم الذي كانت تود أن يكون عليه، ولكن الضغينة التي بدت في عينيها كانت تدل على أنها تعني حقاً ما تقول.

قال بلهجة لاذعة: «كم عمره؟ إثنا عشر عاماً؟ ثلاثة عشر؟ ألا ترين انه كبير إلى حد يجعله يدرك جيداً كيف يتصرف في الطريق؟»

فاستدارت إلى أخيها تسأله: «توبي؟ ماذا حدث؟»

نظر توبي إليها بتعاسة وهو يجيب: «لقد كنت متأخراً عن حافلة المدرسة، يا أختي. وهذه هي ثاني مرة يحدث لي فيها ذلك هذا الأسبوع. والناظر سيعاقبني إذا عرف أنني تأخرت مرة أخرى. إنني لم أر هذه السيارة. إنه ذنبي أنا.» وأشار بيده متردداً إلى الرجل الواقف أمامه والذي كان يرمقه بنظرات صاعقة.

فانطلق صوت الرجل حاداً كالسكين وهو يقول: «هذا صحيح تماماً. فقد أوشكت على قتل نفسك، أو قتلي أنا، بينما حطمت، أثناء فعلك هذا، سيارتين.»

وكانت ستيفاني قد أدركت أنها، منذ البداية، لم تتصرف تجاه هذا الأمر كما يجب، ولكنها إزاء هذا الرجل، اختفت من ذهنها كل صنوف التهذيب، فقالت: «هذا ليس صحيحاً تماماً. ذلك ان سيارتي وحدها هي التي تضررت، أما سيارتك فلم يصبها شيء.»

قال ساخراً: «حسناً، انني اعتذر. وفي المرة القادمة إذا كان في نية أخيك ان يتصرف مرة أخرى بهذا الشكل، فمن الأفضل لك أن تضعي سيارتك في مكان آخر. عند ذلك يمكنك أن تطمئني إلى أن سيارتك هذه ستبقى سليمة حتى ولو قتل نفسه أو ذلك الغبي المسكين الذي يقود السيارة.»

ردت عليه بحدة وسرعة، شاعرة بغصة في حلقها بعد أن

أدركت ما كان حرياً أن يحدث: «انك تعرف أنني لا أعني هذا. فأنا آسفة جداً لتصرف توبي بهذا الغباء.» وتنفست محاولة ضبط اعصابها، ثم عادت تقول: «إنني سأدفع طبعاً، كل المصاريف.»

نظر إليها بحيرة وهو يقول: «تباً للنقود. ألا تدركين أن أخاك الغالي كان يمكن أن يكون الآن مرمي تحت هذه العجلات؟»

ارتعبت وهي تنظر إليه وقد اتسعت عيناها: «ما أفظع ما تقول.»

قال على الفور: «نعم. إنه كذلك. وأنا اعتذر.»

وبينما كانت تومىء برأسها ببطء نظر من فوق رأسها إلى ناحية الكوخ متأملاً الحديقة المهملة التي ارتفعت فيها الأعشاب المختلفة الأنواع إلى مستوى عالي، والتي كان يعيقها عن الاهتمام بها، عنايتها الزائدة بأخيها، نظر إلى كل ذلك ثم سألها قائلاً: «هل تسكنان هنا؟»

أجابت بكبرياء وهي تلحظ النظرة التي بدت في عينيه: «نعم. هذا بيتنا.»

قال: «فهمت.» ولم تعرف هي ما عسى ان يكون فهم.

وبعد صمت طويل تبادلا فيه النظرات العابسة سألها بلهجة عنيفة: «هل والداك في البيت، يا آنسة موراي؟»

أجابت وهي تلكز توبي المتواري خلفها بيدها، محذرة إياه من الكلام: «كلا، إنهما ليسا موجودين. ولكن بما أنني فوق الحادية والعشرين، والسيارة سيارتي، فليس من الضروري توريط الآخرين في مشكلاتي.»

بدا في عينيه عدم التصديق وهو يسألها قائلاً: «انت فوق الحادية والعشرين؟ كم عمرك بالضبط؟»

وما كان لها أن تهتم بدهشته هذه ولا أدنى حد، فقد كانت هذه هي عادة كل من كان يعرف حقيقة عمرها. فقد كانت تدرك تماماً أنها لا تبدو فوق السابعة عشرة كما قيل لها مراراً! ولكنها الآن، إزاء ما بدا من ارتياب وعدم ثقة في ذلك الوجه الساخر، شعرت بالغضب. لذلك، قالت بما أمكنها من الهدوء: «انني، في الحقيقة، في الثالثة والعشرين، وسأبلغ الرابعة والعشرين قريباً.»

وصدر عنه صفير خافت وهو يرفع حاجبيه استغراباً، ويقول: «لا اصدق ذلك.»

قالت ببرود: «لا تصدق ذلك؟ على كل حال، ان تصديقك لي أو عدمه، لا يهمني كثيراً.» وما أن ردت إليه، بكلماتها هذه، الاهانة التي سبق ووجهها هو إليها، حتى رأت معالم الغضب على وجهه ما أدخل إلى نفسها الرضى، وعادت تقول: «ومع هذا فأنا في الثالثة والعشرين من عمري ومعتادة تماماً على التصرف بشؤوني الخاصة بالشكل الذي أراه مناسباً. وإذا امكنك الانتظار لحظة، فسأدخل البيت وأحضر رخصة القيادة وأوراق شركة التأمين.»

أومأ برأسه بصمت وهو يراقبها بينما كانت تبتعد عنه جارة توبي خلفها.

استدارت هي وشقيقها حول الكوخ بعيدين عن نظرات ذلك الرجل، لقد تملكها مزيج من الغضب والمذلة

والارتياح في وقت واحد ما جعلها لا تعرف كيف تخرج كلماتها. الغضب من غطرسة الرجل الغريب ذاك، والمذلة لادراكها خطأها في سرعة تصرفها في هذا الأمر، ثم الارتياح وهي ترى توبي سليماً معافى أمامها. قالت له: «دوماً كنت أحذرك من مخاطر الطرق، وأطلب منك أن تنظر إلى الناحيتين قبل أن تجتاز الطريق...»

قاطعها وقد شحب وجهه: «أنا اعلم هذا. اعلم، وأنا آسف.» ورأت أنه يغالب دموعه بقوة، كما كانت شفته السفلى ترتجف. لقد كانت كل الدموع التي سبق وذرفها في سنه هذه، هي كارثة، وكذلك كانت الحالة التي وصلت إليها سيارتها، رغم ما قاله ذلك الرجل المتغطرس، حين قال: «تباً للنقود» إذ من الواضح أن النقود ما كانت لتقلقه يوماً في حياته. فالثراء والنفوذ كانا باديين عليه بجلاء تام. لا بأس، ومدت ذراعيها تحتضن أخاها، وهي تفكر متجهمة الوجه بذلك.

همست له: «إنني آسفة يا توبي. لا بد أن ما حدث قد اخافك جداً. ان هذا سيحملك على الأقل، على الانتباه جيداً بعد الآن.» وتصنعت المرح وهي تقول ذلك.

ابتعد توبي عنها وهو يقول بأسى: «والسيارة؟ كيف ستذهبين إلى العمل؟ وكذلك إلى السوق وغيره؟»

نظرت باسمة إلى وجهه المرقط بالنمش وهي تقول بثقة لا تكاد تشعر هي بها: «لا تقلق، فالسيارة قد لا تكون بنفس السوء الذي تبدو عليه، وقد يكون بإمكان ديف اصلاحها.» وكان ديف براون هو الميكانيكي

المحلي في الكاراج الصغير الذي يبعد عدة أميال. ولكنها كانت تشك في ذلك نظراً إلى ما آلت عليه بعد الحادث. وعادت تقول: «على كل حال، فسلامتك هي أهم شيء الآن.»

وعندما عادت إلى سائق الرانج روفر، كان هو مستنداً إلى سيارته الكبيرة، وقد بان الغموض في عينيه وعلى وجهه. وعندما اقتربت منه، لوح متكاسلاً، بورقة في يده ثم قال: «لقد وضعت هنا كل المعلومات المطلوبة، ولكنني وضعت هنا عنواني في لندن ورقم الهاتف، وكذلك بالنسبة إلى مقري الذي أمضي فيه عطلاتي الاسبوعية. لقد اشتريت حديثاً ذلك المنزل القرميد الواقع خارج القرية القريبة من هنا. هل تعرفينه؟»

وكانت تعرفه بالطبع، إذ ليس هناك شخص في هذه الأنحاء لا يعرف المنزل القرميد، ذلك المنزل الرائع الفيكتوري الطراز الذي يقوم في وسط اراض عائدة إليه، وقد ألحق به حوض مياه وملعب للتنس. وها هو ذا يشتريه فقط، لتمضية عطلات آخر الأسبوع. وحدقت فيه دون ان تدري ما تفعل. وفكرت فيه على أنه مخرج افلام، أو مقاول مليونير، أو ربما كان رجلاً ماكراً كذاباً.

وذهلت حين وصلت إلى هذا التفكير، لتجده ينظر إليها بعينين باردتين وهو يقول: «لقد كان سؤالي هذا بسيطاً فلماذا أثار حنقك بهذا الشكل؟»

قالت وهي تحول نظراتها عنه وتحني رأسها، وهي

تقول: «هذا لم يحدث. إنني فقط اشعر بشيء من الاستياء، وهذا كل شيء.»

قال وهو يشير ناحية الكوخ باستخفاف: «اننا نحن الاثنين، نشعر بذلك، يا آنسة موراي. هل أفهم من هذا، أن المتسبب بكل ذلك، يتوارى الآن في الداخل؟»

أجابت باحتجاج: «إذا كنت تشير بذلك إلى توبي، فهو ليس متوارياً. وإنما طلبت منه أن يقوم لأجلي باتصال هاتفي هام. حيث أننا لسنا من أولئك المحظوظين الذي يذهبون إلى اعمالهم ويتخلون عنها ساعة يشاؤون.»

سألها متجهماً: «ماذا يعني كلامك هذا؟»

أجابت وهي تنظر إلى الورقة التي سبق واعطاها لها: «دعني أقل ذلك بطريقة أخرى، يا سيد... رايان. أظن ان سيارتك الرانج روفر هذه ليست السيارة الوحيدة التي تقتنيها.»

سألها بخشونة وقد شاب الفضول لهجته: «وما دخل هذا في الأمر؟»

أجابت: «كل شيء. ولكنك لم تجب على سؤالي.»

أجاب قائلاً: «مادمت تسألين، فإن جوابي هو كلا، انها ليست السيارة الوحيدة التي أقتنيها. ان لدي سيارة أخرى.»

سألته: «وما نوعها؟»

عاد يستند إلى الرانج روفر وهو يجيب ببطء: «انها سيارة غالية الثمن نوعاً ما. وماركتها لمبورغين، وقبل أن تسأليني، اجيب ان ثمنها مائة وخمسون ألف جنيهاً، وزجاجها الأمامي منحدر وآلاتها الميكانيكية ممتازة وأنا أحب مظهرها الذي يبدو على شيء من الوحشية والعدوانية.

هل تراني اغفلت شيئاً؟» وكان صوته العميق ينضح بالتهكم وهو يقول ذلك.

عدوانية ووحشية؟ فهي لم تر قط هذا النوع من السيارات وإنما سمعت بذكرها فقط.

وعاد يقول: «وهي أيضاً رائعة الجمال. وأنا اقدر الجمال، يا آنسة موراي.»

توهج وجهها احمراراً وهي تجيبه قائلة: «وأنت طبعاً، خبير في هذا الأمر.»

ابتسم ببرود وهو يجيب: «نوعاً ما.»

قالت: «نعم. هذا ما أراه.» وكان من الحماقة ان تستفزه اكثر من ذلك... كان انتحاراً... لقد كان بالغ التمالك لنفسه، بالغ الإزدراء للعالم الذي حوله مما أزعجها. وعادت تقول: «ولكن المال هو اكبر مسهل للأمور الصعبة، الا ترى هذا؟ إنني اشك في أن لديك أقل فكرة عن الكيفية التي يعيش بها الناس.»

أجاب: «لقد عرفت في حياتي اناساً كثيرين، ولكنني لم أعرف واحدة بمثل هذا التصرف العدائي.»

في الحقيقة، كانت ترى مباهاته بنفسه شيئاً كريهاً. وتجاهلت أنها، في الواقع، هي التي استدرجته للحديث عن سيارته.

قالت له بعنف: «كفى. انك تريد أن تخيفني فقط. انك من أولئك الرجال المستبدين الذين يحبون التهديد والصراخ. ليس ثمة حاجة للعداء أو الخصام.»

قال: «لا حاجة؟ ان لي كل الحق في الانزعاج، بالنسبة إلى وضعي حالياً. ذلك ان احد الأغبياء قفز أمام سيارتي

وجعلني امام خيارين هما إما الانحراف لصدم سيارة واقفة، واما صدمه هو، ثم إذا به يختفي ليعود بعد لحظات بصحبة فتاة مجنونة تنفث ناراً وصياحاً. فما الذي كنت تتوقعينه مني؟ ان استقبلك بباقة زهور؟ لقد كدت اقتل هذا الصبي...»

قالت: «ولكن هذا لم يحصل.»

عاد ينظر إليها بغضب، قائلاً: «ثم انك لا تشكرينني. ما هو رأي والديك إذ يسمحان له بالركض في الطريق بهذا الشكل المتوحش؟»

قالت بحزن وقد اجفلت لذكر والديها: «إنه لم يكن يركض بتوحش. لقد كان في الواقع، يركض لكي يدرك حافلة المدرسة.»

قال: «أما كان بإمكانك ان توصليه بنفسك؟ فماذا عندك في الصباح غير ترتيب نفسك لما عليك أن تقومي به؟»

صرخت وقد اعماها الغضب عن اعتبار كلماتها أو وضعها المزعزع: «أيها الوقح المغرور، انك لا تعلم شيئاً عني وعما عليّ فعله.»

قال: «ان كلامي هذا لا يحتمل أي معنى، يا آنسة موراي، ولكنه لا يمنعك من القفز إلى النتائج بالنسبة إليّ، أليس كذلك؟ ولكنني أظنك ستناقشينني في ان هذا أمر مختلف. يمكنك ان تحولي أي حدث لما يناسبك.»

قالت: «اسمع. ان تصرفك هذا في غاية السخافة.»

نظر إليها بتعجرف، ثم عاد إلى سيارته.

وبرّد هدير المحرك القوي، الذهول الذي استولى عليها

من جراء تصرفه المباغت ذاك، ولكن كان الأوان قد فات. ولن يمكنها الحصول على نتيجة إلا إذا قامت بمطاردة سيارته في الطريق العام بشكل يبعث على الخزي. وهكذا لم يكن أمامها سوى أن تتابع السيارة ببصرها.

الفصل الثاني

كانت ستيفاني ما تزال واقفة تحدق بغضب في الطريق الخالي المترب الذي تحده الأشجار القديمة المغروسة على جانبيه، عندما خرج توبي من الكوخ عائداً إليها.

تقدم منها وهو يسألها: «هل أنت بخير؟»

أجابت: «ليس تماماً.» ولكنها عندما استدارت ورأت القلق الذي يكسو ملامحه، ابتسمت برغمها وهي تعود فتقول: «ولكنك انت بخير وهذا ما يهمني. عدني بأن لا تعود إلى هذا العمل، يا توبي. انني لا أعرف ماذا سأفعل إذا حدث لك شيء.»

أجاب: «إنني أعدك.» ولمحت في وجهه شيئاً منعها من أن تتابع محاضرتها عن الانتباه أثناء السير في الطرقات، فأمعنت فيه النظر بقلق وهما يعودان الى الكوخ، وقد أشاحا بوجهيهما عن السيارة الصغيرة المهشمة بجانب الجدار. لقد لاحظت ذلك الشيء اكثر من مرة منذ شهور وخاصة في نهاية يوم عاصف، اذ يبدو على وجهه الصغير الارهاق والشحوب بشكل غير معتاد بالنسبة إلى غلام فتي.

سألته باهتمام وهما يدخلان إلى المطبخ الصغير: «انك بخير وعافية، أليس كذلك يا توبي؟ هل تشعر بشيء في صحتك؟»

أجاب: «كلا. حسناً، هنالك السيارة. هل تظنين حقاً أنها قابلة للتصليح؟»

www.elromancia.com

وكان قد جلس على كرسي، فاشتدت علائم عدم الارتياح على ملامحه.

أجابت: «إنني لست متأكدة.» وتابعت بسرعة: «ربما، ولكننا سنتدبر أمرنا بشكل ما، فقد اعتدنا على ذلك.»

أومأ أخوها برأسه متجهماً وهو يقول: «لقد اتصلت هاتفياً بالدكتور ميتشيل لأخبره أنك ستتأخرين فقال ان لا داعي للقلق. فشيلي ستبقى مكانك إلى أن تذهبي إلى هناك.»

حدقت فيه بهدوء وهي تقول: «حسناً، أظن علينا قبل ذلك أن نتدبر أمر ذهابك إلى المدرسة. علينا أن نسير إلى مفترق الطرق ومن ثم تقلنا الحافلة من هناك. وسأدخل معك لأشرح الأمر للمدير، ثم أعود إلى العيادة.»

ومن سوء الحظ أن المدرسة كانت تقوم في مدينة ريفية كبيرة على بعد قرابة الخمسة عشر ميلاً، ويزدحم المبنى الكبير بتلاميذ من مختلف أنحاء المنطقة والأقاليم، يزودهم بالمأوى. ولكن بما أن هناك حافلة تجمع التلاميذ صباحاً وتعيدهم مساء، فلم يكن هناك مشكلة بالنسبة إليه إلا إذا فاتته الحافلة.

كانت ستيفاني تعمل مساعدة موظفة الاستقبال في عيادة الدكتور المحلي على بعد أميال قليلة في الناحية المقابلة لمدرسة توبي، وكانت زميلتها ميشيل معروفة باسم شيلي، ولديها بيت صغير على مسافة ثلاثة أبواب من العيادة، وتعيش فيه مع زوجها وأولادها. وقد كانت ستيفاني محظوظة جداً بنيلها هذه الوظيفة حيث أن الأعمال في القرية كانت نادرة، خصوصاً بزمالتها لشيلي. ذلك أنهما

كانتا تتناوبان وتتعاونان في المسائل الطارئة حتى برعاية الأطفال عند الضرورة.

وكان الدكتور ميتشيل صديقاً قديماً لأبيها وكان راضياً جداً عن تفاهم الفتاتين معاً ما دام العمل يسير بانتظام. وكان هذا شأن العمل، عادة، إنما ليس اليوم.. وكانت ستيفاني تفكر في ذلك عابسة وهي تسرع الخطى نحو العيادة متأخرة حوالي الساعتين، نعم، العمل هذا النهار لم يكن منتظماً كالعادة.

ابتسمت لها شيلي بعطف وهي ترفع عينيها عن دفتر المواعيد، لتسألها قائلة: «هل هناك مشكلة؟»

أجابت هذه متجهمة: «لقد مر علي صباح يغطي كل صباح آخر.»

قالت شيلي وهي تشير برأسها إلى ناحية مكتب الدكتور المغلق: «أخبريني عن ذلك في ما بعد. فان عنده زائراً هو اختصاصي شهير في امراض القلب من لندن. وقد طلب قهوة لتوه. وبما أنه قد اختلط علي هنا أمر ثلاثة مواعيد... فهل لك...»

قاطعتها وهي تسير نحو المطبخ في آخر العيادة: «بالطبع، وسأصنع قهوة لنا أيضاً أثناء ذلك.»

ووقفت تنظر من خلال نافذة المطبخ إلى الحديقة، منتظرة غليان الماء في الابريق. كانت قرية بريبروك قرية قديمة رائعة المناظر التي تشبه المناظر المرسومة على علب الشيكولاتة عادة. كانت بقعة رائعة ذات اكواخ حجرية قديمة، وجدران قرميد عاجية اللون، وحدائق تغطيها أزهار الخطمية، والأزهار المتسلقة الجدران،

ويعبق في جوها شذا الأزهار، وقد عاشت ستيفاني في هذه القرية طيلة حياتها، وكانت تعشقها ولكنها في الوقت الذي دخلت فيه الجامعة قبل حوالي ثلاث سنوات، كانت مسرورة لذهابها. ذلك أن القرية الجميلة الهادئة ذات الجو الرائع، لم تكن تحوي من أماكن التسلية سوى مقهى يبعد عدة أميال. كانت قد عملت، قبل أن تدخل الجامعة، في صيدلية المدينة التي تقوم فيها مدرسة توبي، حوالي ثمانية عشر شهراً، وذلك لكي تجمع تكاليف سنوات الدراسة الثلاث التي تسبق حصولها على المنحة، فقد كان راتب أبيها الزهيد كعامل في مزرعة لا يكاد يكفي مصروف أسرته من سكن وطعام.

ثم، إذا بآمالها تتحطم. وأغمضت عينيها لحظة وهي تشعر بالألم بنفس القوة التي كان عليها عندما سمعت بوفاة والديها. لقد كان حادثاً غير عادي لا يحدث سوى مرة في المليون، كما قال الخبير في ذلك الحين، ولكن أنبوبة الغاز التي تسرب منها إلى غرفة نوم والديها أثناء نومهما، سلبتها، وأخاها توبي أحسن والدين في العالم، وعضت شفتها السفلى بشدة وهي تفتح عينيها مرة أخرى، وهكذا تركت الجامعة بعد ستة عشر شهراً فقط، لتعود إلى قريتها بريبروك لكي تساعد توبي على البقاء في بيئته وبيته اللذين ألفهما وأحبهما. لقد قامت بذلك ومازالت، وهو آخر ما في امكانها ان تفعله إكراماً لوالديها، قامت به بكل رغبتها وقلبها المملوء حباً لهما ولأخيها الأصغر. ولكن الشهور الثمانية عشر الأخيرة مرت عليهما عسيرة مالياً، والكوابيس التي احتلت

ليالي توبي نتيجة الرعب الذي انتابه عندما عثر على والديه ميتين، تلك الكوابيس ابتدأت تتلاشى في الأسابيع الأخيرة فقط.

نبهها صوت غليان إبريق الماء، إلى المهمة التي بين يديها وعندما خرجت من المطبخ بعد ذلك بدقائق، حاملة صينية عليها أكواب القهوة، وطبق بسكويت وزهرية صغيرة تحوي زهور الربيع أحضرتها من الحديقة، كانت عيناها مغشاتين بالدموع.

تناولت شيلي قهوتهما عن الصينية ووضعتهما على المنضدة القديمة التي تستعملانها مكتباً للاستقبال، وهي تهمس لها: «ادخلي الصينية إلى المكتب، وأنا أحذرك من أن الطبيب الزائر ليس من نوع اختصاصيي القلب الذين اعتدت عليهم، إن إسمه هانتر كما أظن.»

ورفعت ستيفاني حاجبيها متسائلة بينما دفعتها زميلتها إلى الباب المغلق بعد أن قرعته لأجلها، ثم فتحته مشيرة إليها بالدخول. وسارت هي عدة خطوات داخل المكتب قبل أن يستدير نحوها ذلك الرجل الضخم الذي كان يحتل أحد المقعدين الكبيرين في الغرفة، والذي كان ظهره إلى الباب. عند ذلك، تجمدت في مكانها وما زالت الصينية بين يديها.

قال، وقد بان من الذهول الذي كسا وجهه أنه لا يقل دهشة عنها: «يا لها من مفاجأة... ماذا تفعلين هنا؟»

أجابت وهي تضع، بطريقة آلية، الصينية محاولة اخفاء ارتجاف يديها، على مكتب الدكتور ميتشيل اللامع: «إنني اعمل هنا. أظنك سبق لك أن قلت ان اسمك هو رايان؟»

حدق فيها بجمود وهو يجيب قائلاً: «هذا صحيح، إن اسمي هو هانتر رايان.»

هانتر رايان... هانتر رايان... لماذا لم تنتبه إلى هذا الاسم في الطريق هذا الصباح؟ إنه أحد أعظم الجراحين شهرة في العالم، بالرغم من كونه مايزال في التاسعة والثلاثين، ما يعد صغيراً نسبياً. ولكن هناك مئات ممن أسماؤهم رايان في العالم..

كما أنه لم يكتب في الورقة التي أعطاها لها، إسمه الأول كاملاً، بل كتب أول حرف منه هـ. ولكن هانتر رايان؟ وهنا؟

رفع الدكتور ميتشيل حاجبيه متسائلاً وهو يقول: «إنني لا أحب مقاطعة هذا المشهد الصغير، ولكن هل سبق لك معرفة موظفة الاستقبال عندي، يا هانتر؟» فاستدار الاثنان نحوه بحركة واحدة بعد إذ نسيا وجوده.

أجاب هانتر: «إنها... السيدة الشابة التي كنت أحدثك عنها.» وأدركت ستيفاني من التردد الخفيف الذي سبق وصفه لها بالسيدة الشابة، أدركت بشكل أبلغ من الكلام طبيعة الكلمات التي كان وصفها بها له قبل دخولها.

قال الدكتور ميتشيل بطريقة تعوزها اللباقة: «المرأة المشاكسة؟ ستيفاني؟ أنا لا أصدق ذلك.»

قال هانتر بصوت تشوبه السخرية: «حسناً، يؤسفني أن أقول إنها هي نفسها، يا روجر، إلا إذا كان لها شقيقة توأم.» نطق بهذه الجملة الأخيرة وهو ينظر إليها، هازلاً، بتلك العينين الحادتين.

كانت موجة الرعب التي اكتسحتها، قد زالت مخلفة

شعوراً بالارتباك متمنية لو أنها في أي مكان آخر في العالم عدا عن هذا المكتب الصغير مع هذين الرجلين، ولكن الآن، وأمام هذا الرجل الساخر المتعجرف، بثقته المخيفة بنفسه، شعرت بالغضب الذي سبق واحست به في نفسها قبل الآن، لتجيبه قائلة: «كلا، بل هي أنا، وإذا كنت أنا مشاكسة فذلك لأنك كنت أنت أكثر من ذلك.»

قاطعها الدكتور ميتشيل مؤنباً: «ستيفاني...»

قاطع هو بدوره، قائلاً وهو يرفع حاجبيه ساخراً، ويضحك ببرود: «ستيفاني؟ أتعني إن إسمها ستيفاني لا بد أنك تمزح.»

حدقت فيه ثائرة وهي تقول: «إن إسمي هو ستيفاني موراي وقد سبق لك معرفته، أليس كذلك؟ إنه على قطعة الورقة التي أعطيتها لك عندما حطمت سيارتي هذا الصباح.» ورأت الدكتور ميتشيل يغمض عينيه لحظة، وكأنه يشعر بالرعب. ولكن لم يكن بامكانها غير هذا، وسواء كان هذا الرجل جراح قلب شهير أم لا، فقد كان نذلاً. قد يكون غنياً، شهيراً، خرافياً تقريباً، ولكنه مايزال نذلاً.

قال ببرود: «يظهر أن زيادة التعارف لا تحسن من طبيعتك، وسواء كنت في الثالثة والعشرين أم لا، فانه كان بإمكان والديك أن يعلماك شيئاً من حسن الخلق.»

وسمعت صوت الدكتور ميتشيل يهتف بقلق مقاطعاً: «هانتر...»

ولكنها قالت، قبل أن يتم كلامه: «أهكذا؟ حسناً، فلنقل أن

رأيي فيك ليس أفضل من رأيك هذا في أنا. وقد تكون جراحاً جيداً، يا سيد رايان، ولكنني أتمنى ألا أختبر ذلك بنفسي، لأن سلوكك لا يمكن احتماله. أما أبواي فقد أنشآني، وأخي توبي، بشكل ممتاز، فاحتفظ إذن برأيك السيء لنفسك.»

وقبل أن يجد الرجلان ما يقولان، كانت قد أصبحت خارج المكتب، لتغلق الباب بهدوء مدهش ثم تتابع سيرها مجتازة شيلي التي تلاشت ابتسامتها إزاء وجهها الشاحب، قاصدة المطبخ.

تبعتها شيلي هاتفة بها بقلق: «ما الذي حدث يا ستيفاني؟ أخبريني؟»

أجابت: «لا شيء.» وكانت تحاول أن تهدىء من العاصفة التي تعتمل في صدرها. إنها لم تبك حين مات والداها... لم تستطع ذلك. كان عليها أن تبقى قوية لأجل توبي الذي كان منهاراً معنوياً وعاطفياً من جراء الصدمة والألم. والآن عليها أن لا تدع هذا الرجل يشعرها بالأسى، كلا أبداً. وعضت شفتها السفلى بعنف، لا يمكنها أن تطلق لمشاعرها العنان الآن. إن عليها أن تكون صامدة متمالكة لنفسها. إن توبي بحاجة إليها.

وتكلفت ابتسامة باهتة وهي تقول لشيلي: «لا شيء، يا شيلي. إنها قصة طويلة سأخبرك بها عندما نتناول القهوة.»

وعندما انتهت من إخبارها بما حدث في الصباح، كانت عينا شيلي تحملقان فيها وقد امتزج فيهما العطف بالاهتمام بالاضطراب. وهزت رأسها ببطء وهي

تقول: «ستيفاني... ليست هذه طبيعتك أبداً، ما الذي حدث لك؟»

حدقت ستيفاني فيها بتعاسة وهي تجيبها قائلة: «لا أدري، ولكنه رجل مغرور، يا شيلي. لم أقابل في حياتي قط شخصاً كرهته مثل هذا الشخص.»

قالت شيلي بضيق: «لا أريد أن أتركك هنا بعد كل ما حدث. ولكن علي ان أحضر روبين من الحضانة الساعة الواحدة.»

أومأت ستيفاني برأسها بسرعة وهي تجيب: «طبعاً، اذهبي، وأنا شاكرة لك وقوفك معي بهذا الشكل، يا شيلي، إنني سأنوب عنك في العمل غداً صباحاً بالطبع. إذهبي الآن ولا تقلقي بشأني فأنا بخير.»

قالت شيلي: «ولكن، هل أنت متأكدة من أنه لن...؟»

«يا آنسة موراي؟»

واستدارت الاثنتان لتنظرا إلى هانتر رايان واقفاً عند العتبة وقد تسمرت عيناه على وجه ستيفاني الذي تملكه الشحوب. وكانت ملامح وجهه جامدة لا تعبر عن شيء.

هل تراه سمع حديثهما؟ تساءلت ستيفاني عن ذلك وهي تلقي نظرة حذرة على الوجه الغامض لذلك الرجل، ولم يكن يبدو عليه ما يدل على ذلك. إذ لا يمكن أن يبدو على ملامحه الباردة الجامدة تلك ما ينبيء بشيء، وتمنت أن لا يكون قد سمع شيئاً يزيد من العداوة بينهما.

قال موجهاً حديثه إلى شيلي: «هل بامكاني أن أتحدث إلى الآنسة موراي لحظة على انفراد، من

فضلك؟» فنظرت شيلي بقلق إلى ستيفاني قبل أن تترك المطبخ متمهلة.

أرغمت ستيفاني نفسها على النظر إليه مباشرة وهي تقول: «نعم؟» غاظها أن تضطر إلى رفع رأسها لكي تنظر إليه، كان من العسير عليها أن تعترف لنفسها بأنه يرهبها... ولكن هذا كان صحيحاً.

قال يخاطبها وهو يشير برأسه إلى ناحية مكتب الدكتور ميتشيل: «عندما تكلمت عن والديك هناك، لم تكن لدي فكرة عن ظروفك. وقد حدثني روجر عن الوضع الذي أرغمتك تلك الظروف على...»

قاطعته بهدوء وثبات، قائلة: «لم يرغمني شيء على ذلك. انني في الوضع الذي اخترته بنفسي.»

أومأ برأسه تقديراً لرأيها وهو يقول: «إنني أقدم اعتذاري لتعليقاتي تلك التي تنقصها اللباقة، على كل حال. لقد كانت غير ضرورية وليس لها ما يبررها.»

وأومأت برأسها متقبلة عذره وهي تشعر بوجهها يتوهج، هانتر رايان. هانتر رايان. لقد كان المثل الأعلى لبعض طلبة الطب الذين كانت تعرفهم في الجامعة. كان هو الجراح اللامع الذي كان يتبع مايراه دون اهتمام بنصائح الاستشاريين الذين هم أقدم منه وأقل عناداً، والذي نجح في التغلب على كل ما صادفه من شواذ. وهذا الصباح ظنته رجل أعمال مشبوهاً أو مقاولاً سيء السمعة. لم يكن من عادتها الحكم على الأشخاص بهذه السرعة. ولكن يبدو أن أفكارها كانت غير طبيعية بالنسبة لهذا الرجل. حتى في هذه الآونة،

وهي تراه متكلفاً في حديثه يصحح خطأه، كانت تحس بجو من التحدي والعدوانية يحيط به.

قالت بقدر ما أمكنها من البرود: «فلننس هذا، أليس كذلك؟ وإذا كنت تحب أن تعلم، فأنا مؤمّنة على السيارة. ولن يكون ثمة صعوبة في دفع ما تتكلفه سيارتك من تصليحات.»

ورفعت رأسها وهي تتحدث، وما أن التقت أعينهما حتى تجهم وجهه وهو يسألها ببرود:

«أهكذا تعالج الأمور؟ بمحاولتك نسيانها؟ لقد تصرفت أنت هذا الصباح بغاية الشراسة دون مبرر.»

ردت عليه بحدة: «أما أنت، فأظنك كنت غاية في الأدب والتهذيب إذ تتصرف معي بعدم احترام وكأنني مراهقة صغيرة!...»

قال: «أتصرف معك بعدم احترام؟» وبدا على ملامحه الهزل.

قالت تجيبه: «نعم، انك لم تحترمني أم لعلك تصورت أنني سأسر بكلام جميل من قبل رجل غريب؟»

قال: «إنني إنما إن تفوهت بهذا الكلام فقط لمحاولة تهدئتك مما كنت عليه من انفعال.»

قالت غاضبة: «من المؤكد أنني لم اكن أريدك أن تتكلم هكذا، يا سيد رايان. لم أكن أريدك أن تفعل، ولعلمك، فان فيك كل ما أكرهه في الرجل.»

قال: «وأظنك قلت عني إنني مغرور؟»

إذن، فقد سمع حديثهما هي وشيلي. وشعرت بشيء من الخزي ولكنها حدثت نفسها بأن الذنب ذنبه. إذ منذ

أول لحظة تقابلا فيها وهو يحاول قهرها واذلالها، ومعاملة كهذه لا بد أن تعرضها للانفجار. وتذكرت كيف كان يحدق فيها ثائراً وهي تخرج إليه ذلك الصباح حتى قبل أن يتكلما، كما لو كان يظنها واحدة من خدمه.

قالت: «لم يكن من المفروض أن أنفعل إذن، ولكن عملك ذاك...»

قاطعها بازدراء: «كان مناسباً، يا لك من فتاة صغيرة.»

حدقت في عينيه بغضب وقالت: «هل تفكر في أن تقوم بعرض آخر لما تسميه كلاماً جميلاً؟»

قال ببرود: «إنني أرفض تكرار ذلك، يا آنسة موراي، وداعاً.»

وعندما تلاشى صدى وقع خطواته على البساط الذي يكسو الممر الخارجي، تنفست ستيفاني الصعداء متأوهة، وهي تتهالك على الكرسي إذ لم تعد تستطيع الوقوف. وعاودتها الرغبة في البكاء والتخفيف عن نفسها. ولكنها غالبت ذلك بعنف وبكل قواها.

ما الذي جعلها تقول كل ذلك وتتصرف بهذا الشكل؟ ذلك أنها لم تكن تظن نفسها مشاكسة بهذا الشكل. وفي الواقع أن سنوات طفولتها، والتقارير المدرسية عنها كانت كلها تنتقدها لكونها بحاجة إلى مزيد من الجرأة والمطالبة بحقوقها، وأن رقة قلبها وحساسيتها المرهفة جعلتها، سريعة التأثر بالنسبة إلى أصدقائها وزملاء الصف بوجه عام. وفكرت بألم، لو أن معلميها رأوها اليوم كيف كانت تتصرف. وأغمضت عينيها بشدة

لتفتحهما بعد ذلك بسرعة وهي تسمع صدى خطوات رجل خارج المطبخ.

أطل رأس الدكتور ميتشيل الأشيب من الباب وهو يخاطبها قائلاً: «ستيفاني؟ هل كل شيء على ما يرام؟»

وقفت فجأة وهي تجيبه قائلة: «كل شيء على ما يرام تماماً.»

أمضت بقية النهار مستعينة على غليان الغضب في نفسها كلما فكرت في هانتر رايان، بأكواب القهوة السوداء.

منذ عودتها من الجامعة للعناية بتوبي، مضى بها الوقت في ادارة المنزل والتسوق والحلول مكان الأم والأب لصبي مضطرب قلق، وفوق هذا العمل في الخارج في وظيفة توفر لهما لقمة العيش... كل هذا أخذ كل دقيقة من أيامها، ليلاً ونهاراً. كان وقتها دوماً مشغولاً عن أي شيء آخر.

وتذكرت نظرة هانتر رايان إلى حديقتها المهملة. لا شك أن لديه جيشاً من البستانيين ينتظرون طلباته، ولكن ليس لديها مثل ذلك، ثم كيف يجرؤ على انتقاد بيتها؟ وإن لم ينطق بذلك صراحة، ولكن ملامحه الباردة المتهكمة نطقت بذلك. لشد ما تكره ذلك الرجل، إنها تكرهه حقاً.

وفي الوقت الذي تمكنت فيه من الصعود إلى الحافلة الوحيدة التي كان عليها أن تطوف المنطقة مرة كل ساعتين، كانت قد أصبحت مرهقة صحياً ونفسياً. وكانت الساعة الخامسة في ذلك المساء الربيعي الرطب والشمس

قد غابت. كانت جائعة متعبة كما لم يكن لديها فكرة عن الكيفية التي تؤدي بها أعمالها اليومية من دون سيارتها الصغيرة. فقد أنفقت كل ما كانت تدخره لشراء هذه السيارة بعد أن عرض عليها الدكتور ميتشيل هذه الوظيفة في عيادته وذلك بعد أسابيع قليلة من وفاة والديها وعودتها إلى البيت، فأنقذت بذلك حياتها.

هتف أخوها الذي كان جالساً بانتظارها على الحائط الحجري القديم، هتف بها عندما أطلت عليه بعد عشرين دقيقة، قائلاً: «مرحباً، أين ذهبت السيارة؟»

أجابت وهي تحدق في مكان السيارة الخالي، بعينين فارغتين: «السيارة؟» وعندما صرخت مرة اخرى تقول «السيارة؟» تصاعد في الجو هدير محرك سيارة تقترب ماجعل رأسها يستدير إلى ناحيتها. كلا، غير ممكن، ليس الآن... ولكن لو كان هو القادم فستضربه وتقول اي شيء إذا قال كلمة واحدة غير مناسبة... وسيارتها؟ إن الشرطة لا تنقلها من مكانها مطلقاً مادامت لا تعرف صاحبها. وعلى كل حال، فان شرطة القرية تعرف سيارتها الحمراء الصغيرة.

وعندما توقفت سيارة الرانج روفر، اختفى توبي داخل المنزل في الوقت الذي ابتدأ ينهمر فيه المطر، وفكرت ساخرة، ما أروع هذا... واستدارت ببطء تواجه الرجل القابع وراء مقود السيارة دون انتباه إلى التعب الذي يبدو عليها وتلك الظلال تحت عينيها.

جاءها صوته العميق وهو يقول: «مساء الخير يا آنسة موراي.» وعندما نظرت إلى وجهه لم ترفي ملامحه ما

يخبرها بسبب قدومه. تابع قائلاً: «فكرت في أن من الأفضل أن أوضح لك الأمر بشأن السيارة.»

قالت: «السيارة؟ سيارتي؟»

أجاب: «نعم سيارتك.» وما لبث أن خرج من السيارة، وهو يقول: «إنك تبدين مرهقة، مع أنني أعلم أنك لن تشكريني لقولي هذا. وأرى من الأفضل أن تجلسي قليلاً ما دام ليس في نيتك أن تدعيني لدخول منزلك...»

دفعها إلى داخل السيارة في المقعد الذي كان تركه منذ برهة أمام مقود السيارة، قبل أن تجد وقتاً تتصرف فيه أو حتى تقول شيئاً، ثم وقف مستنداً بكسل إلى السيارة المبللة بينما المطر ينهمر على رأسه، وقال: «هكذا يجب أن تكوني، هادئة إلى حد لا يصدق. لا تقلقي إنني لا أنوي الصعود إلى السيارة، فان هذا اكثر مما أستحق.»

قالت: «اريد الخروج من السيارة...»

قال: «إثبتي مكانك، يا ستيفاني.» وكان ذهولها لنطقه باسمها مجرداً، اكثر من سماعها هذا التحذير بصوته جعلها تعود إلى الجلوس في المقعد الذي حاولت أن تتركه، بينما عاد هو يقول وهو ينظر إليها بهدوء: «اسمعي، لقد تدبرت أمر اصلاح سيارتك... قلت لك اسمعي!»

ومرة أخرى عادت تجلس في مقعدها وهي تنظر إلى مياه المطر تنحدر على وجهه. بينما كان هو يتابع قائلاً: «لقد فعلت ذلك لأنني، ببساطة، أتمكن من ذلك بعكسك أنت. إن الدكتور ميتشيل هو صديق قديم لي، وهو لن يكون مرتاحاً أبداً إذا رآك تشتغلين عنده بينما يرهقك الركض

خلف الحافلات او من يوصلك إلى عملك وما أشبه، وأنا أرى أنك بحاجة ماسة إلى سيارتك.» ونظر ناحية بيتها متجهماً وهو يتابع قائلاً: «ومن المؤسف أنك تقيمين في هذه الناحية المنعزلة عن الطرق الرئيسية.»

وعندما عاد ينظر إليها، قالت له بعناد: «إنني أحب بيتي هذا.»

أجاب: «إنني متأكد من ذلك، وقولي إنه لا يعجبني سيجعلك تمضين فيه العمر كله. أليس كذلك؟» فعادت تنظر إليه إلا أنها لم تحاول أن تجيبه هذه المرة.

قال: «والآن، الأمر سهل وإن يكن سيأخذ بعض الوقت، ولكن بما أنني أظنك سترفضين قبول سيارة أخرى مني، فقد صممت على أن أقوم بعمل ما يمكنني عمله. إتفقنا؟»

أجابت بفتور: «كلا، لا يمكنني أن أجعلك...»

قاطعها قائلاً: «لو كنت تعرفينني جيداً، إذن لعرفت انني فعلت شيئاً لم يحدث قط معي. ذلك أنني إذا أردت عمل شيء، فسأعمله... هل فهمت؟»

ونظرت إليه بينما كان ذهنها يعمل بسرعة، متذكرة ما كانت تسمعه عنه من شائعات أثناء وجودها في الجامعة. فتلك العملية التي رفض القيام بها جميع جراحي القلب، لم يتردد هو في القيام بها بكل نجاح، وتسببت صداماته مع المؤسسة في أن يبعده زملاؤه ممن هم أكثر نفوذاً منه. وعملية اخرى قام بها، في غرفة عمليات موقتة، في قلب صبي أصيب في حادث تصادم قطارين، ولم يكن من المستطاع نقله، نجحت نجاحاً باهراً. ومثل هذه القصص

لم تكن هي لتصدق نصفها... ولكنها وهي تنظر إليه الآن، تصدق كل واحدة منها.

قالت: «ولكن...»

قاطعها مرة أخرى وقد لان صوته وهو يرى الذهول في عينيها قائلاً: «لا أريد كلمة ولكن هذه. والآن عليك أن تسمحي لي بأن أصبح رجلاً شهماً مثلما أنا رجل مغرور.»

وخرجت من السيارة عائدة إلى بيتها، في الوقت الذي قال لها: «سأتصل بك خلال أيام قلائل. وبالمناسبة، ستصلك غداً صباحاً الساعة السابعة سيارة موقتة تستعملينها، فلا تدهشي إذا أنت رأيتها أمام بيتك. ثم، هناك شيء أريده منك.»

ووقف أمام البوابة وسألته بفتور: «وما هو؟»

أجاب بجفاء: «انتبهي إلى أخيك ذاك، من تلك القفزات تحت عجلات السيارات المنطلقة والتي يتحدى بها الموت، لأنني إذا رأيته، مرة اخرى، يقوم بعمل كهذا، فسيكون لي معه شأن آخر وبالمناسبة.» ورفع يده وهو يتابع قائلاً: «لقد كنت حراً في تصرفاتي لأنني لا أضع خاتم زواج.»

ووقفت تراقبه غير مصدقة دون أن تقوى على الاجابة حيث رفع يده ملوحاً لها وهو يستدير بسيارته مبتعداً في الطريق التي اقبل منها.

كان هذا جنوناً، عملاً غير معقول، لا يمكن أن يكون حدث فعلاً. وعادت تحدق في الطريق محاولة أن تستوعب ما حدث في الدقائق الأخيرة، ولكنها لم تستطع. لقد بقي تصرفه متملكاً بها إلى ما بعد أن تناولت عشاءها وجلست

فترة أمام النار، حين استيقظت فجأة إلى حقيقة ما تسامحت به. ذلك أنه لم يدر أي حديث بينهما عن شركة التأمين التي لها علاقة بالحادث. إذ أنه تحمل عبء كل التكاليف، واكثر من ذلك، زودها بسيارة بديلة أثناء اصلاح سيارتها التي كان يعلم أنها لا تستحق التصليح. وحدقت في النيران المشتعلة محاولة أن تجعل ذهنها المتعب يخرج من كل هذا بنتيجة. ذلك أن اصلاح مثل هذه السيارة القديمة قد يكلف الكثير.

وأطلقت آهة طويلة جعلت أخاها توبي والذي كان جالساً إلى المنضدة ينجز فروضه المدرسية، جعلته ينظر إليها مستطلعاً. لقد وضعها هانتر رايان في موقف صعب لا يرجى منه. لماذا قام بكل ذلك؟ هل ذلك لمساعدة الدكتور ميتشيل كما قال؟ وفي نفس الوقت يساعدها هي وأخاها؟ قد يكون هذا غير محتمل ولكنه ممكن.

الفصل الثالث

استيقظت ستيفاني في الصباح التالي بعد رقاد كان مريحاً إلى درجة مدهشة. وكان ذهنها صافياً هادئاً. وكانت ما تزال لا تستطيع أن تفهم ما جعل هانتر رايان يتصرف بمثل هذا الإحسان نحوها، خصوصاً بالنسبة لما حدث أثناء النهار. ولكنه رجل ثري، ناجح، وفي القمة من مهنة لامعة. وفي ضوء النهار البارد، بدا أن من الغرور أن تظنه معجب بها ولو لدقيقة واحدة، فقد كانت من الناحية الاجتماعية فتاة محايدة، غير متعلمة، وغير معروفة...

وبقيت هذه الأفكار المطمئنة معها حتى تركت المنزل بعد الإفطار لتجد أمامها سيارة مرسيدس لائقة تماماً واقفة أمام البوابة الخارجية. وكانت المفاتيح قد وضعت في صندوق رسائلها أثناء الليل.

«يا للعجب، إنها مرسيدس.» وما أن قالت ذلك، حتى كان توبي يندفع نحوها بسرعة فائقة وقد تألق وجهه الصغير وهو يهتف: «انظري يا ستيفاني. إنها مرسيدس.» وأخذ يرقص حول السيارة وقد اعترته نوبة من الضحك وهو يتابع قائلاً: «عليك أن تأخذيني بها إلى المدرسة ولو مرة واحدة... أرجوك يا ستيفاني... أرجوك.»

وركض إليها يختطف المفاتيح من يدها وهو يهتف: «هيا، افتحيها.»

قالت له تنبهه بحزم وهي تجلس أمام مقعد القيادة: «إنها سيارة موقتة فقط إلى أن ينتهي تصليح سيارتي.»

قال توبي بابتهاج وهو يغوص في المقعد الوثير بجانبها، متسع العينين: «لم أكن أعلم أنهم يعيرون سيارات مرسيدس كهذه. ظننت أنهم سيعيرونك سيارة عادية ككل شخص آخر.»

ألقت نظرة على وجه أخيها مفكرة. هذه نقطة حسنة. حسنة جداً. ما الذي يهدف إليه هانتر رايان بالضبط؟

وبعد أن تعودت على كيفية استعمال السيارة، عادا إلى المنزل لكي يأخذا صندوقي الغداء وحقيبة توبي المدرسية، وحقيبة يدها مع قائمة الحاجيات التي عليها أن تتسوقها.

سألها أخوها: «هل أستطيع القدوم معك إلى السوق هذه الليلة؟»

نظرت إليه بحيرة وهي تجيبه قائلة: «أنت؟ تأتي معي للتسوّق؟ منذ متى كنت تحب أن تأتي معي إلى السوق؟»

أجابها ببراءة وعلى شفتيه ابتسامة عريضة: «منذ أن أصبح لديك مرسيدس. لكي أتباهى بها في الشارع.»

فقالت له بحزم: «سواء تريد أن تتباهى بها في الشارع أم لا، فأنا أريد أن أقوم بالتسوق في طريق عودتي من العمل، كالعادة، وعندما تعود تضع البطاطا على الموقد.»

نظر إليها باشمئزاز بينما كان يصعد إلى مقعده بجانبها وهو يقول: «كيف تتحدثين عن البطاطا في سيارة كهذه؟»

أجابت بحدة: «وماذا في ذلك؟ فأنا التي سأقوم بتحضير العشاء.» ونظرت إلى وجهه الساخط، ثم لانت قليلاً وهي تقول: «اسمع، سآخذك إلى المدرسة هذا الصباح، فقط هذا الصباح. اتفقنا؟»

ابتسم لها توبي قائلاً: «اتفقنا. وإذا قلت لك ان تتمهلي في السير، فتمهلي. أليس كذلك؟ هنالك من أحب أن يراني جالساً في هذه السيارة.»

قالت: «يا لك من صبي صعب، يا توبي.» وابتسمت لبراءته بينما تحركت بهما السيارة. كانت قيادة المرسيدس حلماً من الأحلام. وخنقت ستيفاني الضحكة في حلقها وهي ترى البهجة التي بدت على وجه توبي حين مرا بين عدد من زملاء صفه قرب المدرسة.

وعندما أنزلته وابتدأت طريق العودة إلى العيادة، ابتدأت الشكوك تنتابها ما جعلها تعقد جبينها. ما الذي جعله يرسل إليها مرسيدس أثناء إصلاح سيارتها؟ ما كان لها أن تقبل عرضه هذا مساء أمس. وكان عليها أن تصرّ على أن تقوم شركة التأمين بالأمر، رغم أن هذا قد يعني خسرانها للمواصلات نهائياً بالنسبة إليها. لقد تحايل عليها. إنها لم تكن متأكدة من السبب الذي جعله يقدم على ذلك، ولكنه تحايل عليها بكل تأكيد.

وكانت فترة الصباح في العيادة قد انتهت لتوها عندما فتح الباب وأطلت منه شيلي. وكانت الفتاتان تتناوبان العمل، ولكنهما تجتمعان معاً مرتين في الاسبوع، يومي الاثنين والجمعة صباحاً، حيث تكون العيادة مزدحمة بالعمل على الدوام.

سألتها شيلي لاهثة وهي ما زالت عند العتبة: «إنني لا أستطيع الانتظار لكي أسألك إن كنت تستطيعين تلبية دعوتي مساء السبت القادم، حيث يصادف يوم ذكرى مولدي وقد عرض علينا زوجي توم أن يأخذنا جميعاً للسهرة خارجاً.»

سألتها ستيفاني بحذر: «جميعاً؟»

أجابت شيلي ببراءة دون أن تطرف عيناها: «أعني أنا وأنت وشقيق توم.»

قطبت ستيفاني حاجبيها وهي تقول محذرة: «شيلي. لقد سبق وأخبرتك...»

قاطعتها شيلي وعلى فمها ابتسامة عريضة لا أثر للخجل فيها: «آه، إنني أعلم، أعلم. ولكنه سيكون عشاء جيداً ومارتن ليس لديه ما يشغله، إنني أعدك أن لا يكون هناك أيّ ارتباطات بالنسبة إليك. قولي إنك ستأتين، يا ستيفاني، إنك بحاجة إلى بعض الترفيه وبإمكان توبي أن يمكث بين أطفالي وأمي ستهتم بالأطفال، نعم؟»

ابتدأت ستيفاني تقول بحذر: «إن هذا لطف منك...»

قاطعتها: «هذا عظيم، لقد اتفقنا إذن.» واختفت قبل أن تسمع ما كانت ستيفاني على وشك الاعتذار به للرفض.

وأغمضت هذه عينيها ساخطة وهي تتمتم، ذلك أن شيلي لم يبد عليها أنه دخل عقلها أن الشيء الوحيد الذي، ليست بحاجة إليه في الوقت الحاضر، هو الترفيه. فقد كان كل ما تريده، هو أن تتمكن من القيام بالأعمال اليومية المطلوبة

منها. وعطلة الأسبوع هذه كانت قد قررت أن تمضيها في إصلاح حديقتها.

ومع هذا، كان من كرم أخلاق شيلي أن تفكر فيها. وليلة بهيجة تمضيها مع الثلاثة الآخرين والذين تعرفهم جيداً، ربما كانت تجلب إلى نفسها القوة والراحة. ومن سوء الحظ أن مارتن كان يشعر نحوها بشيء ما. وعادت إلى العبوس وهي تفكر في شقيق توم الأصغر هذا، والذي كان في الخامسة والعشرين من عمره والذي مع كونه ظريف المعشر، كانت تستبدّ به فكرة وهي أن كل أنثى تحت الستين من عمرها لا بد أنها معجبة به. ولكنها كانت أوضحت له في كل مناسبة يكون هو موجوداً فيها، أن الصداقة هي كل ما بإمكانها تقديمه... وهكذا أومأت لنفسها ببطء، نعم، ستذهب. لا ضرر من وراء ذلك، وقد تجد في هذه السهرة بهجة كبيرة.

كانت ستيفاني تسير نحو المقصف في قاعة ذلك الفندق الفخم في المنطقة، وقد سار مارتن إلى جانبها. وكانت وصلت مع توبي إلى منزل شيلي منذ ساعة لتجد جواً من العداء المهذب يسود المكان. وظهر بعد ذلك أن سيارة توم قد تعطلت في الليلة السابقة، وقد أمضى طيلة النهار في إصلاحها، فأنساه ذلك إعطاء زوجته شيلي هدية وبطاقة عيدها في الصباح، والأسوأ من ذلك نسيانه جعل الأطفال يقومون بإعطاء أمهم هديتهم لها هم أيضاً. وعندما عاد فتذكر ذلك، كانت شيلي تكبت السخط والألم من إهماله ذلك.

وفي الطريق إلى الفندق، والذي أصرّ فيه توم على

أخذهم بسيارته، سادهم صمت طويل تشوبه التلميحات والوخزات بين الزوجين ما كان يزعج ستيفاني كثيراً ولكنه لم يكن يزعج مارتن ذرة واحدة.

وعندما جلسوا وقف توم يقول متكلفاً ابتسامة مشرقة: «هل أحضر عصير الفواكه لكل واحد منا؟ إن مائدتنا محجوزة للساعة الثامنة وبالتالي نملك وقتاً كافياً.»

وما كادت ترفع كوبها إلى شفتيها مبتسمة وهي ترى توم يتأمل بحب زوجته، والذي جعل شيلي تقابله بأول ابتسامة حقيقية هذا المساء، ما كادت تفعل ذلك حتى ارتجفت يدها وهي ترى هانتر رايان يدخل من الباب وبصحبته امرأة، وكان هو يجول في أنحاء الغرفة بعينيه اللتين توقفتا فجأة عند وجهها المتوهج واستقرتا عليه.

وكانت شيلي قد رأته هي أيضاً فانتقلت عيناها إلى وجه ستيفاني المذهول بقلق وهي تقول: «أليس ذاك جراح القلب؟ إنه هو، أليس كذلك؟»

وجاهدت ستيفاني لتحول عينيها عن تلك العينين الشبيهتين بعيني الصقر، وهي ترد عليها قائلة: «هانتر رايان.»

نظرت شيلي إلى مارتن وهي تقول: «ذلك هو الرجل الذي أعار ستيفاني المرسيدس.»

قال مارتن وهو ينقل بصره نحو وجه هانتر الخشن الملامح، ثم قال بلهجة لاذعة: «إنه مغرور، أليس كذلك؟»

أجابت ستيفاني بمرح بينما كانت تشعر بالاضطراب:

«ليس لديّ فكرة. إن هذا العصير لذيذ. شكراً لك يا توم.» وابتسمت لزوج شيلي.

اراد توم ان يرد عليها، ولكنه تردد وهو يرى شخصاً يقف بجانبه قائلاً: «مساء الخير.» ولم يكن في صوت هانتر سوى الأدب. وعندما رفعت ستيفاني عينيها رأته ينظر إلى شيلي مباشرة. وما لبث أن حوّل عينيه نحوها وهو يومىء برأسه ببرود قائلاً: «ستيفاني.»

أجابت: «مرحباً.» وتضايقت من الرجفة التي تملكت صوتها.

سألها بهدوء: «لا أظن أنك وجدت صعوبة بالنسبة لتغيير السيارة؟»

أجابت: «كلا، إنها ممتازة تماماً.»

عاد يسألها: «هذا حسن، هل ستتناولين الطعام هنا؟» وعندما أومأت برأسها إيجاباً، قال بابتسامة خفيفة: «هذا حسن. استمتعي بطعامك.» ثم ابتعد بعد أن حيا الجميع بإيماءة مختصرة من رأسه.

قالت شيلي وهي تلقي بنظراتها إلى حيث مجموعته المؤلفة من أربعة أشخاص: «إنه رائع، يا ستيفاني. عليك أن تعترفي بذلك.»

حاولت ستيفاني أن ترسم على شفتيها ابتسامة مرحة وهي تقول: «هل عليّ ذلك؟» لقد استولى عليها الاضطراب الذي رافقها بقية السهرة، ذلك أنهم لم يكادوا يستقرون حول مائدتهم، حتى كانت مجموعة هانتر قد تبعتهم حيث جلسوا على بعد عدة موائد منهم، وكانت كرسي هانتر مواجهة لكرسيها.

وبينما كان المساء يمرّ بهم كانت ترغم نفسها على التصرف بشكل طبيعي رغم أن كل إحساسها كان مع ذلك الرجل الذي يجلس على بعد أمتار قلائل منها. أما هو فقد بدا غافلاً عن وجودها تماماً، إذ كان يضحك ويمرح مع جلسائه أثناء تناولهم أشهى الأطعمة، وكانت الضحكات التي تتوارد إليها من مائدتهم، من حين لآخر تجعلها تكاد تتمزق.

ألقت بنظراتها إليهم، وكانوا ينهون قهوتهم، لتتلاقي عيناها بعينيه على الفور، وكانتا غامضتي التعبير. ولكنه ما لبث أن ابتسم ببطء.

جلسوا فترة يتناولون فيها القهوة، وكانت ستيفاني تتمنى في كل لحظة، لو يرحل، ولكن وكأن الأمور تسير عكس رغبتها، وقفت المجموعتان في وقت واحد، مستعدتين لترك المطعم.

كانوا يدخلون الردهة المفروشة بالسجاد السميك عندما سمعت صوته فجأة إلى جانبها يسألها وقد كسا التهكم ملامحه: «هل استمتعت بالعشاء؟»

أجابت: «نعم.» وعندما اقترب مارتن منها رأت، للحظة سريعة، لمعة ملتهبة في عينيه.

ابتسم بلطف وهو يتابع السير مع اصدقائه، وهو يقول لها: «هذا حسن.» وسرعان ما كان يخرج مع مجموعته من خلال الباب الزجاجي.

لحق بهم توم في الردهة بعد أن دفع الحساب، وهو يسألهم: «اتريدون ان تشربوا شيئاً آخر؟»

ولكن زوجته شيلي هزت رأسها رفضاً وهي تقول: «كلا،

ولنذهب إلى البيت حيث نتناول هناك كوباً من العصير، ان بإمكانك البقاء معنا قليلاً، أليس كذلك يا ستيفاني؟»

أجابت: «نعم، بالطبع.»

ولم تكن تريد ذلك، في الواقع، خصوصاً بالنسبة إلى مارتن ومزاجه هذا.

وما ان خرجا من الفندق متجهين نحو سيارة توم الفورد القديمة، حتى قالت ستيفاني: «مارتن. تذكر... اصدقاء فقط.»

نظر إليها شزراً، ثم همس: «اصدقاء؟»

وصعدت إلى السيارة وهي تفكر في أن هذه آخر مرة تصدق فيها دعوة من شيلي إلى تمضية سهرة من دون ارتباطات كما تقول.

ولكن السيارة لم يصدر عنها صوت حين وضع توم مفتاح الاشعال. وبعد دقائق صمت تأوهت شيلي وهي تقول بعنف: «لقد تعطلت مرة أخرى، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟ آه يا توم. انك تستحق القتل. لقد عرضت علينا ستيفاني ان نستعمل المرسيدس.»

صرخ فيها: «اخرسي.» وما أن نزل بعنف من السيارة، حتى أغمضت ستيفاني عينيها بضجر. يا لها من نهاية تعسة لسهرة تعسة. وسأل توم أخاه بعد لحظات امضاها تحت غطاء السيارة، سأله قائلاً: «هل ستساعدني أم لا، يا مارتن؟» وعندما نزل مارتن متمهلاً متجهاً صوب أخيه، أشارت شيلي إلى ستيفاني أن تتبعها للخروج من السيارة.

واتجهت نحو الفندق وهي تحملق في زوجها قائلة: «انني ذاهبة لاستدعاء سيارة أجرة هاتفياً.»

www.elromancia.com

أمسك بذراعها بغضب وهو يقول: «لا سبيل إلى ذلك. انها ستكلف غالياً وقد سبق وانفقت كل ما معي على هذه السهرة المشؤومة. فاجلسي في السيارة واهدأي يا إمرأة.»

«هل يمكنني المساعدة في شيء؟» وما أن اخترق هذا الصوت البارد هذا الجو المشحون، حتى أوشكت ستيفاني أن تصرخ، هانتر رايان. لا بد أنه سمع كل كلمة قيلت.

أجاب توم محاولاً التكلم بصوت هادىء: «أشك في ذلك. كنت ظننت ان هذه السيارة القديمة قد اصبحت على مايرام بعد أن أمضيت النهار بطوله في اصلاحها. ولكنني سأتمكن من ذلك الآن في أقرب وقت.»

ورأت هانتر يبتسم عندما قالت شيلي ساخرة بعدم تصديق: «هه... أحقاً؟»

وقال برفق: «حسناً، هل يحب أحد منكم أن أوصله؟ لقد ذهب اصدقائي الآن إلى لندن، ورأيتكم على شيء من الإنزعاج.»

قالت شيلي تخاطب زوجها غاضبة: «توم. قد نبقى هنا طيلة الليل. ألا نستطيع...»

حدق توم في زوجته بوحشية وهو يقول: «اهدأي. قلت إنني سأصلحها.»

قالت لستيفاني: «حسناً، إذهبي أنت إذن، يا ستيفاني.»

حدقت ستيفاني في شيلي وكأن صديقتها جنت، ولكن هذه تابعت تقول: «ان أولادي نائمون الآن، ولكن توبي ينتظرك وقد يتأخر توم ساعات. هذا إذا كان السيد رايان

لا يمانع.» وتجاهلت شيلي تماماً وجه شقيق زوجها المتميز حيرة وغيظاً، وهي تبتسم في وجه هانتر. ونظرت ستيفاني إلى شيلي غير مصدقة. كلا. ليس هانتر رايان. من غير المعقول أن تكون شيلي فكرت في ان هانتر رايان قد...

أجاب هانتر وهو يستدير نحو ستيفاني قائلاً بجمود وهو يشير إلى اليمين: «بكل سرور. إذا شئت أن تتبعيني..»

قالت ستيفاني: «اسمع. أنا لا أمانع في الانتظار.»

قالت شيلي: «لا تكوني حمقاء.» وبدت على وجهها نظرة انبأت ستيفاني انها تعني ما تقول. وكانت تتابع قائلة: «لقد قال السيد رايان إنه لا يمانع. وعندما تذهبين لاحضار توبي يمكنك إخبار أمي ألاّ تقلق إذا نحن تأخرنا.»

قالت انجيلينا بضجر: «يمكنك الاتصال بها هاتفياً.»

«هيا بنا.» قال هانتر وقد استلم القرار الآن.

قال لها بصوت رقيق خافت فيه شيء من الضغينة: «لا تخافي، يا ستيفاني. إنني لست الماركيز دي ساد الذي كان يعذب الناس، مهما كان رأيك بي.»

أجابت بمرح زائد عن اللزوم: «انك لست هو طبعاً.» وعندما قهقه ضاحكاً بسخرية صرفت هي بأسنانها غيظاً، ودخلت السيارة اللمبورغيني المترفة وهي تحدث نفسها بأنها لن تدع روعة هذه السيارة تؤثر عليها.

وأخيراً، قالت بعد لحظة صمت طويلة: «هل هذه هي سيارتك ذات المئة وخمسين ألف جنيه ثمناً؟»

فقال وهو يتحرك بالسيارة: «هذا تخلص ماهر من التعليق على كلامي، يا آنسة موراي. ألا تريدين أن تلوحي بيدك لأصدقائك؟»

قالت: «ماذا؟» وشعرت بالرعب وهي ترى أنهما قد مرا بجانب شيلي والرجلين الذين نسيت وجودهم تماماً. لماذا هي جالسة في هذه السيارة؟ لماذا؟ لماذا كانت من الغباء بحيث سمحت لنفسها بالوصول إلى هذا الوضع الخطير؟

«اتراني قد تحولت وحشاً؟»

وكادت تقفز مجفلة إذ اخترق صوته الهادىء الصمت المحيط بهما. وقالت: «ماذا؟»

أجاب: «لأنك تحدقين بي منذ فترة طويلة. وبالمناسبة، هل هو وحش طبيعي؟»

أجابت: «طبيعي؟» وحدقت فيه كالخرساء وهي تفتش، عبثاً، عن جواب مناسب.

عاد يقول: «انك، كما كنت أقول، كنت تحدقين بي منذ فترة طويلة. إن هذا شيء محير. إنه يجعلني أتصرف بطريقة كنت أظن أنني انتهيت منها منذ سنين.»

قالت: «أحقاً؟»

أجاب: «نعم. إنني أحب أن أوقف السيارة في مكان هادىء ثم...» وضحك بشيء من الإرتباك وهو يتابع قائلاً: «ليس تماماً بالطريقة التي تتوقعين فيها ان يتصرف فيها استشاري بالطب.»

قالت: «اسمع، لا أظن هذه فكرة جيدة.»

قال: «ها قد أخفتك. إنني أعتذر، يا ستيفاني. إنني لا

أريد أن أؤذيك، صدقيني.» وألقى نظرة على وجهها الشاحب مرة أخرى ثم أطلق شتيمة بهدوء، وهو يتابع قائلاً: «ان اصدقائي اكثر حنكة ويستطيعون الانتباه إلى انفسهم...»

قاطعته: «وأنا استطيع الانتباه إلى نفسي.» فقد أثار غضبها قوله ذاك ما جعلها تنسى كل ما كانت صممت عليه من اتباع الهدوء والإتزان. فتابعت تقول: «أما تراني أقوم بكل ما تلزمه العناية بتوبي والبيت والعمل وكل شيء؟» حدقت فيه ثائرة. فأجاب بسرعة: «انني لم اكن أعني هذه الناحية، فأنا متأكد من أنك في غاية الكفاءة...»

قالت بحدة: «لا أريدك ان تتعالى عليّ. إياك أن تجرؤ على ذلك، يا هانتر رايان. ربما كنت مميزاً ومكرماً في محيطك الخاص، وأنا متأكدة من انك ممتاز جداً في عملك، ولكنك لا تخرج عن أن تكون مجرد رجل، انسان من لحم ودم مثلنا جميعاً. أما السيارة والبيوت وكل هذا... حسناً، لقد كنت محظوظاً... محظوظاً أن ولدت ولديك هذه الموهبة التي تمتلكها.»

وتنفست بعمق، ثم عادت تقول: «ثم، بالنسبة لما سبق وذكرت، فأنت لا تخيفني. هل فهمت؟»

فقال: «هذا حسن.» وكان قد استمع إلى ثورتها هذه دون أي تعليق، وقد بدا الجمود على وجهه.

قال وهو يتجه نحو القرية: «ها قد أصبحت الآن تتصرفين كالأطفال. هل لك أن ترشدني إلى حيث منزل اصدقائك؟»

وعندما ألقت إليه بالتعليمات بصوت ضعيف متألم،

رأت أن يديه كانتا قابضتين على عجلة القيادة بعنف جعل عظام اصابعه تبرز. فهو لم يكن متمالكاً لنفسه إلى الحد الذي يريدها أن تعتقد. وتملكتها الدهشة لهذا. لا بد أن شيئاً قالته أو فعلته قد أصاب شيئاً من نفسه وتفاعل مع عقله الحاد. أم لعله كان لا يعدو أن يكون غاضباً؟ ومهما كان، فهي لم تهتم. إن ما تريده فقط هو أن تحضر أخاها لتنهي بذلك أسوأ ليلة مرت عليها في حياتها.

أشارت إلى المنزل الذي كانت المرسيدس واقفة عنده، وهي تقول: «ها قد وصلنا. اشكرك لتوصيلي.»

سألها: «هل تشعرين بنفسك القوة لقيادة السيارة؟»

أجابت وهي تسرع بالنزول من سيارته للخلاص من كلامه: «طبعاً.»

كرر جوابها بابتسامة غريبة، قائلاً: «طبعاً. يا له من سؤال غبي مني.»

وبقيت ابتسامته هذه في خيالها طوال الطريق إلى منزلها وتوبي بجانبها يثرثر، وكذلك أثناء استعدادها للنوم، وقسم بعيد من الليل حيث جافاها فيه النوم. لقد بدا في وجهه، في تلك اللحظة السريعة، بدا شيء ما... أهو حقد...؟ ألم...؟

وعندما أعلنت الساعة بجانب سريرها مرور ساعة أخرى، انتهرت نفسها قائلة، كفى. يا ستيفاني، كفى، إنه رجل عدواني، عنيف، ساخر، هذه هي صفاته الحقيقية. كل تلك التصورات والأفكار لم يكن هناك ما يدعمها.

وجذبت الوسادة إلى ما فوق رأسها وحاولت أن تطرد

هذه الصور من ذهنها... صورة المطعم، رحلة العودة إلى البيت... وجهه... لقد نال من الحياة كل ما كان يتمنى. إنه سعيد، راضٍ تماماً... إنه كذلك بالطبع. ومعه الحق في ذلك. لقد قابلته في ثلاث مناسبات، فكانا يتشاجران كالهرة والكلب. فكيف بإمكانها أن تعرف عنه شيئاً؟ حسناً، بإمكانها أن تنساه. وليس عليها ان تقابله بعد الآن، وهذا يجعلها سعيدة، سعيدة. وشدّت الوسادة فوق رأسها لعل النوم يواتيها.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

عادت سيارة ستيفاني الميني بعد اسبوعين وبعد نوع من التحسين والتجميل يتمناه أي شخص كانت مدهونة متألقة مغسولة وبعجلات جديدة... ووقفت ستيفاني تتأملها فترة طويلة بعد أن تركها العامل الميكانيكي، عائداً بسيارة المرسيدس. لا بد أنها كلفت هانتر رايان مبلغاً باهظاً قد يكون أكثر من ثمن سيارة جديدة. ولكنها ما لبثت أن تخلت عن هذه المبالغة وقد شعرت بالضيق. إن هذا لم يعجبها. لم يعجبها مطلقاً، ولكن عليها أن تكتب له رسالة تشكره فيها، إذ ان هذه لفتة لطيفة منه بصرف النظر عن براعته لذلك، ثم تذكر له أنها ربما استطاعت في المستقبل البعيد، أن تعيد إليه ما أنفقه.

كتبت، ثم أعادت الكتابة، ثم أعادتها مرة أخرى قبل ان يستقر رأيها على نص مهذب مختصر. وبعد ان أرسلته بالبريد إلى عنوانه في لندن، حاولت، عبثاً، ان تتناسى كل شيء عن هذا الأمر. إن عليها ان تتمالك نفسها مرة أخرى، كما أخذت تحدث نفسها مراراً وتكراراً أثناء الأيام القليلة التي تلت. لقد مرّ هذا الحادث وانتهت منه، وقد لا تراه بعد الآن. وهي مسرورة لذلك.

وفي اليوم السادس لإرسالها الرسالة، بعد عدة ساعات مضت عليها في العيادة عانت فيها من مضايقات الطبيب والمرضى، تصاعد رنين الهاتف المزعج أثناء تناولها

عشاءها، فقفزت من أمام المائدة مندفعة صوب الهاتف وهي تتأوه ساخطة.

«ألو.» وأدركت من الصمت الذي تلا ذلك، أن صوتها كان أكثر حدة من المعتاد. فعضت شفتها بشدة قبل أن تعود لتقول مرة أخرى: «ألو، هنا ستيفاني موراي... أية مساعدة؟»

«لا تقولي شيئاً كهذا إلا إذا كنت تعنينه حقاً.» لم يكن هناك سوى رجل واحد له مثل هذا الصوت العميق الساخر، وانزعجت وهي تسمعه يتابع ببطء: «ولِمَ هذا الغضب؟ لا أظنك دوماً هكذا، أليس كذلك؟»

أجابت: «كلا.» ولم يخطر ببالها في البداية أنه كان عليها أن تتكلف عدم تمييز صوته. ولكن الأوان قد فات الآن، وتابعت تقول: «ماذا تريد، يا هانتر؟» كانت قد سبق وصمّمت، إذا هي تحدثت معه بعد ذلك أن يكون صوتها بارداً مطمئناً. ولكن صوتها الغاضب والمرتفع قليلاً لم يكن يتضمن أياً من هاتين الميزتين.

أجاب قائلاً: «العشاء، أعني أنني أحب أن أدعوك إلى العشاء.»

أجابت: «ولماذا؟» ولم يكن هذا جواباً لائقاً منها، ولا تصرفاً مهذباً. ولكن يبدو أن هذه الكلمة انطلقت من بين شفتيها دون وعي منها.

تبع ذلك فترة صمت أخرى، أطول قليلاً هذه المرة، وعندما تكلم مرة أخرى، خيل إليها أن ثمة شيئاً من الدهشة كانت تخالط السخرية الواضحة في صوته وهو يقول: «لأنني أريد أن اكلمك مرة أخرى. ماذا يمكن أن يكون غير هذا؟»

قالت: «ولكن كنت ظننت...» وسكتت فجأة.

وجاءها صوته جامداً هذه المرة: «نعم؟»

أجابت ببطء وحزم بعد أن سحبت نفساً عميقاً: «أظنني سبق وأوضحت لك ماهية شعوري نحوك، بنفس الوضوح الذي أخبرتني به عن وجهة نظرك في الحياة.»

قال: «فهمت. ولكن هو العشاء فقط ما أريد، يا ستيفاني.»

شعرت بوجهها يتوهج لهذا الجواب العفوي الذي يكاد يكون زجراً، فأخذت نفساً آخر عميقاً قبل أن تتكلم.

قالت له مرغمة نفسها على التزام المنطق رغم غضبها: «لا أرى في الأمر أية فائدة يا هانتر. أليس كذلك؟ ان آراءك، حياتك المنحرفة، أراها كلها حقيرة تثير الاشمئزاز إذا شئت حقاً أن تعلم. إنك تظنني طفلة ساذجة، وأنا متأكدة من ذلك. ولكن إذا كان الأمر لا يهمك فهذا بالضبط ما أنا مصممة على البقاء عليه. إنني متأكدة من أنك نابغة في عملك...»

قاطعها قائلاً: «تباً لعملي.» فسكتت ذاهلة لهذه الثورة في صوته التي جاءت عقب تلك السخرية التي كانت منذ دقائق قليلة ولكنه ما لبث أن عاد إلى الكلام بعد لحظة واحدة ليقول ساخراً: «إن كلمة كلا وحدها كان يمكن أن تكون جواباً كافياً يا ستيفاني.»

قاطعته قائلة: «حسناً، فلا تبدأ الآن، إذن.» ووضعت السماعة قبل أن يتمكن من الجواب، ثم أزاحتها من موضعها خشية من اتصاله ثانياً. كانت ترتجف ثائرة إلى حدٍ شعرت

معه بالحاجة إلى الجلوس على السجادة خوفاً من أن لا تحملها قدماها.

«هل أنت بخير، يا اختي؟» وكان توبي قد أنهى تناول طعامه الخفيف الذي كان يأكله أثناء استغراقه في مشاهدة التلفزيون ومشى الآن ليصادفها في طريقه. وكان الانزعاج بادياً عليه وهو يسألها: «ماذا جرى؟»

رسمت على وجهها ابتسامة فيما كانت تنهض، وهي تقول: «لا شيء. كان النهار طويلاً والناس متعبين. وغداً سيكون الأمر أفضل.»

وعاد الغلام يقول بفضول وهو يرى وجهها المتوهج: «ومن ذاك الذي كنت تكلمينه في الهاتف؟»

قالت وهي تتناول صحنه الفارغ: «لا أحد. لا أحد ذا أهمية. هل تريد شيئاً من الآيس كريم الآن؟»

هتف قائلاً وقد نسي الآيس كريم: «نعم، أرجوك.» وبينما كانت تفرغ الآيس كريم من علبة الكرتون في الطبق، كانت تستعيد كلماتها التي سبق وقالتها... لا أحد ذا أهمية... إنه غير مهم فعلاً، ليس الآن ولا في ما بعد.

لقد كانت عاهدت نفسها، حين وفاة والديها بأنها في خلال السنوات القليلة التالية، ستعتني بتوبي قبل كل شيء. وأنها ستكون له بمثابة الأم والأب معاً إلى أن يصبح ناضجاً وإلى حد يقيّم معه حياته. وهي لن تخل بعهدها هذا. وكانت تعني بجزء من هذا الالتزام، أن عليها أن تبقى هنا لأجله لتعطيه مثلاً يمكنه من اجتياز سنوات المراهقة وما وراءها، لكي تعلمه القيم التي يحفظها الآن، في العالم الحقيقي.

في الصباح التالي، عندما كانت تعيد سماعة الهاتف إلى موضعها، كان القرار الذي اتخذته في الليلة السابقة قد ترسخ أكثر في نفسها.

وكانت نفسها أكثر اطمئناناً وهدوءاً مما كانت عليه منذ أسابيع، عندما تصاعد رنين الهاتف ذلك الصباح في العيادة. ورفعت شيلي سماعة الهاتف فقد كان اليوم هو الجمعة وهو يوم وجودهما في العمل معاً. ثم ما لبثت أن نادتها علي الفور: «ستيفاني.» وعندما نظرت هذه إليها، فكرت حالاً في أنها ستلقي سماعة الهاتف من يدها إذا كان المتكلم هو هانتر. ولكن شيلي قالت: «مكالمة لك من المدرسة. إن توبي مريض...»

وقبل أن تنهي كلامها، كانت هذه قد اندفعت تأخذ السماعة من يدها وهي تقول: «نعم، هنا ستيفاني موراي. ماذا حدث؟»

وجاءها صوت يقول: «الآنسة موراي؟» وعرفت على الفور صاحب الصوت والذي كان كريغ هاموند معلم الرياضة. وتابع يقول: «والآن، أرجو أن لا يتملكك الذعر، ولكن توبي أصيب.»

سألته بوهن: «أصيب؟»

قال: «حسناً، إنني لا أعرف تماماً طبيعة الحادث. فقد كان توبي خارج المدرسة في درس الرياضة البدنية يركض مع رفاقه، وفي الدقيقة التالية كان منبطحاً أرضاً وهو يلهث. وقد استدعينا سيارة الإسعاف.»

حاولت الاحتفاظ بالهدوء بالرغم من ضربات قلبها

العنيفة، وهي تسأله قائلة: «هل حالته سيئة إلى هذا الحد؟ أتظنها نوبة ربو؟»

أجاب بلهجة يبدو فيها عدم الارتياح: «هذا ممكن، إنهم سيأخذونه إلى قسم الطوارىء في مستشفى راولستون. هل أراك هناك، أم تفضلين أن أحضر لآخذك معي من حيث أنت؟»

أجابت: «كلا، سأذهب الآن. شكراً يا سيد هاموند.» كان في أعماقها شيء يهتف بها، ولكن ليس بإمكانها التفكير فيه الآن.

اندفعت خارجة وهي تشرح، أثناء ذلك الأمر لزميلتها. وبينما كانت هذه عند الباب تلوّح لها بيدها، كانت الأشياء تبدو لها وكأنها غير حقيقية. منذ دقائق كانت حياتها قد عادت إلى مجراها الطبيعي وذلك لأول مرة منذ أسابيع، والآن... الآن يحدث شيء مريع، إنها تعرفه. فتلك الفكرة التي ساورتها أثناء الحديث الهاتفي قد عادت إليها الآن بوضوح. تعب توبي، حالات الإرهاق التي كانت تصيبه دون سبب واضح، اللون الأزرق الخفيف في شفتيه الذي كانت تلاحظه أحياناً. ثمة شيء خطير كان عليها أن تدركه... كان عليها أن تدركه...

وعندما دخلت المستشفى، لاقاها كريغ هاموند في قاعة الاستقبال، وعلى وجهه علامات القلق وهو يقول: «لا أدري ماذا أقول، يا آنسة موراي.» وكان يتكلم بصوت هادىء وهو يسير معها داخلاً قسم الطوارىء، متابعاً قوله: «لقد استلزم الأمر إعطائه الاوكسجين أثناء نقله في سيارة الإسعاف ما ساعده قليلاً.»

سألته: «وأين هو الآن؟» وكان صوتها خائفاً وهي تجول ببصرها عبثاً في القسم الذي كان يحتله أشخاص يبدو عليهم الضجر، وهم يحدقون في الفراغ أو يشربون شيئاً وقد بان عليهم الإرهاق.

أجابها وهو يشير بيده بضيق: «إنه في غرفة أخرى. لقد أرادوا إجراء بعض الفحوصات.»

سألته وقد تملكها الاضطراب: «فحوصات؟ وأي نوع من الفحوصات؟»

أجاب: «اسمعي. دعيني أخبر المسؤولين أنك هنا ومن ثم قد نعرف شيئاً. استريحي على هذا الكرسي قليلاً ولن أتأخر.»

وفعلاً عاد بعد دقائق وبصحبته ممرضة كان منظرها الواجم يخفي وراءه عناية زائدة كانت هي بالضبط ما تحتاجه ستيفاني.

قالت بلطف وهي تجلس بجانب ستيفاني وتمسك بيدها برقة: «إن أخاك في غرفة الإنعاش، لقد فهمت من معلّمه أنك ولية أمره، يا آنسة موراي. إنني آسفة، ولكن هل بإمكانك أن تشرحي لي بالدقة كل شيء عنه؟»

أجابت: «نعم.» وبينما أخذت تحدثها عن كيفية وفاة والديهما، كانت الممرضة بجانبها تظهر علامات العطف أكثر من مرة. وعندما انتهت وقفت ببطء قائلة وهي تربت على يدها مرة أخرى: «فهمت. حسناً، أظن من الأنسب أن أخبرك أن مشكلة توبي يبدو أنها تتعلق بقلبه. إن ضربات قلبه غير منتظمة، ولكننا لن نعرف تماماً قبل أن تأتي نتيجة الفحص. يمكنك أن تريه لدقيقة واحدة إذا شئت.»

أجابت ستيفاني: «نعم. أرجوك.» والتفتت إلى معلم الرياضة تقول له بابتسامة شاحبة: «شكراً لمساعدتك، يا سيد هاموند. الأفضل أن تعود الآن.»

نظر إليها بثبات وهو يقول: «بل سأبقى، واسمي هو كريغ.»

أومأت برأسها وهي تقول بذهن شارد، وأفكارها مع توبي: «أوه...»

كان توبي نائماً على سرير ضيّق مغمض العينين وقد اتصل بجسمه أسلاك وأنابيب متنوعة، وعندما دخلت غرفة الإنعاش الواسعة، بصحبة الممرضة كانت تعدّ نفسها للأسوأ. ووقعت عيناها عليه، وقد بدا ضئيلاً ضائعاً في تلك القاعة الواسعة وكان منظره هذا أكثر مما تستطيع احتماله. ومدّت يدها تمسك يده بحذر وهي تقول: «توبي. هل تسمعني؟»

فتح عينيه ببطء وهو يجيب: «نعم، يا أختي.»

قالت: «أواه، يا توبي.» وتمنت لو تأخذه بين ذراعيها، ولكن الأسلاك والأنابيب التي كانت تسجل تطورات حالته، منعتها من ذلك. وعادت تسأله: «كيف تحس بنفسك؟»

نظر إليها بضعف وعلى وجهه ابتسامته الهازلة العادية وقال: «إنني بخير. لا تقلقي.»

همست بهدوء: «ماذا حدث؟»

هزّ رأسه بخفة قائلاً: «لا أتذكر.»

قالت لهما الممرضة: «ربما من الأفضل أن تعودي لانتظاره خارجاً الآن إلى أن ننتهي. وسأدعوك حالما يصبح بإمكانك رؤيته مرة أخرى.»

كانت الساعات التالية أسوأ ما مرّ على ستيفاني في حياتها. فالأشياء التي كانت تستطيع تمييزها من بين الضباب الذي كان يحيط بذهنها، كانت رقة كريغ هاموند المدهشة واهتمامه بأخيها. كذلك اتصال الدكتور ميتشيل هاتفياً مستفهماً عن حالته، وعطف الممرضة وتفهمها. وفوق ذلك كله ذعرها وتوقعاتها السوداء. كانت تعلم أن هناك شيئاً خطيراً وعندما يتأكد الأسوأ فاليأس إحدى الراحتين، حين يدمّر عذاب التوقع نفسها.

«الآنسة موراي.» كانت الساعة تجاوزت منتصف الليل، وكان كريغ هاموند ما يزال معها، وقد وجدت نفسها ترتجف وهما يجلسان يواجهان الطبيب المستشار في مكتبه.

قال الطبيب يخاطبها: «لقد كان هذا صدمة كبرى لك.»

أجابت: «نعم.» وأخذت تحدّق عابسة في وجه الطبيب وهي تتابع: «هيا... تابع كلامك...»

عاد يقول: «من المؤسف أن أخبرك أن حالة أخيك ضعيفة جداً.» ومضى الصوت الثابت الموضوعي يتابع بحرص: «أثبتت نتائج الفحوصات التي ظهرت أن قلبه يعاني من خلل وراثي منذ الولادة. هل كان أصيب أيّ من والديك بقلبه؟»

أجابت: «إنها أمي. وقد ظهر معها هذا بعد ولادتها لتوبي. وبعد ذلك لم تعد تستطيع العمل.»

أومأ برأسه عدة مرات، ثم تنحنح متأملاً وهو يبادلها النظر مرة أخرى، ثم قال: «حسناً، كما سبق وقلت، إن أخاك مريض جداً.»

سألته قائلة: «هل بإمكانك إيضاح كل شيء، من فضلك؟»

لم تعد تستطيع الاحتمال. والداها أولاً، ثم الآن توبي؟ وعندما تكلم الطبيب، وأدركت مبلغ خطورة الأمر شعرت بكريغ يتململ بقربها بعدم ارتياح. معنى هذا أن توبي هو في خطر الموت.

سألته بضعف: «أليس في الإمكان إجراء عملية أو أي شيء من هذا القبيل؟ لا بد أن هناك شيئاً ما يمكنكم فعله؟»

أجاب ببطء: «إن حظ أية عملية من النجاح قليل جداً، يا آنسة موراي. إن توبي قد يعيش عدة سنوات أخرى إذا هو أخذ العلاج الضروري.»

سألته بفتور: «وماذا عن إمكانياته بالنسبة إلى الحياة؟ ما الذي يستطيع، أو لا يستطيع، القيام به؟»

أجاب: «آه، حسناً...» ولأول مرة، يحوّل الطبيب المستشار عينيه عن عينيها ويقف فجأة، ثم يمشي إلى النافذة في زاوية الغرفة، ثم ينظر خارجاً إلى موقف السيارات المظلم، وهو يتابع قائلاً: «إن عليه أن يكون شديد الحذر، بالطبع، ولا يهتم بشيء...»

قاطعته قائلة: «إنني لا أفهم هذا. فمنذ لحظة كان لديّ أخ طبيعي صحيح الجسم، وفي اللحظة التالية...»

استدار الطبيب ينظر إليها وعيناه ممتلئتان عطفاً وهو يقاطعها قائلاً: «إنه لم يكن صحيح الجسم، يا آنسة موراي. ولكنكم لم تعلموا بأمره قبل الآن، وهذا هو كل شيء. والآن، إذا أنت...» وقطع حديثه قرع حاد على الباب، فاستأذن وهو يسير ليفتحه بنفسه وهو يقول بحدة: «كنت قلت انني لا أريد مقاطعة... هانتر! ما الذي تفعله هنا؟»

أجاب: «إنني مهتم بهذه الحالة، يا وليام.» وما أن سمعت

هي صوت هانتر رايان من حيث كان في الممر حتى انفجرت فجأة بعاصفة من البكاء كانت تكبتها منذ سنوات... بسيل منهمر لا يتوقف من الدموع جعلها عمياء صماء بالنسبة لما يدور حولها.

قال يخاطف الطبيب: «هل لديك شراب منعش، يا وليام؟» وسمعت هي كلامه ولكن لم يبدر منها أية استجابة.

فرد عليه هذا متعجباً: «شراب منعش؟ ولكن من المؤكد...»

فقاطعه هانتر بحدة: «سألتك هل لديك شيء منه؟ ما الذي قلته لها؟» وكانت شهقاتها قد خفّت الآن وإن لم تحاول أن تفتح عينيها.

سألها: «هل أنت بخير؟»

وأومأت برأسها بعجز وقالت بصوت مرتجف: «نعم... إنني آسفة.»

تجاهل الاعتذار وكأنها لم تتكلم، ثم توجهت عيناه نحو كريغ الذي كان واقفاً إلى جانب الباب لا يدري ماذا يفعل، ثم قال يخاطبه بلهجة جافة: «من أنت؟» وما أن وقف مواجهاً المعلم الشاب، حتى رأت وجه كريغ يتوهج قليلاً وكأن هانتر قد تفوه بكلمات عدائية، ثم قال: «إنني معلم توبي وكنت معه عندما فاجأته النوبة. ولم أشأ أن تبقى ستيفاني بمفردها فبقيت معها.»

أجابه: «هذا لطف كبير منك.» كانت لهجته رقيقة ولكن وجهه كان يبدو فيه العنف بشكل واضح وهو يقول: «لطف كبير في الواقع. ولكنني سأعتني بها بنفسي الآن. هل أتدبر أمر من يوصلك إلى بيتك؟»

أجاب كريغ: «أشكرك. ولكن عندي سيارتي الخاصة.» والتفت إلى ستيفاني وقد بان الاضطراب على وجهه، وهو يقول: «هل ستكونين بخير، يا ستيفاني؟ بإمكاني أن أمكث معك بقدر ما أنت بحاجة إليّ؟»

ابتسمت له بضعف قائلة: «كلا، اذهب يا كريغ. لقد كنت رائعاً ولا أدري ما الذي كنت سأفعله من دونك.»

ابتسم برقة قائلاً: «لا بأس. سأتصل بك هاتفياً في اليومين القادمين إذا سمحت لي.»

أجابت: «بالطبع.» وفهمت من عينيه أنه شاعر بالحيرة لقدوم هانتر. ولكن لم يكن بوسعها شرح الأمر له حيث أنها هي أيضاً تشعر بالشيء نفسه، لقد أخذا أثناء الساعات الطويلة التي أمضياها بانتظار الأخبار عن توبي، في الثرثرة عن كل الأمور ولكنها لم تأت على ذكر هانتر مطلقاً، وأخذت تفكر بضعف في ما عسى أن يظن كريغ في هذا.

قال له هانتر: «وداعاً يا سيد...»

أجاب هذا بابتسامة مؤدبة: «هاموند، كريغ هاموند.» ثم ترك الغرفة بهدوء بعد أن أومأ إلى ستيفاني مرة أخرى.

وقال هانتر يخاطب الطبيب قائلاً: «حسناً يا وليام. إنني آسف للعنف الذي بدا مني. إنه لم يكن تصرفاً حسناً، ولكن ستيفاني وتوبي صديقان قديمان لي.»

نظرت ستيفاني إليه بحدة وهو ينطق بكذبته هذه ولكن عينيه لم يبد فيهما أي ندم وهما تستقران على وجهها فوراً ثم تابع قائلاً: «هل هناك مانع من أن تدلي إليّ بالتفاصيل؟ لقد كنت أتحدث مع الدكتور روجر ميتشيل هذا المساء، حيث أخبرني عما جرى لتوبي، ولما كنت سأحضر غداً صباحاً

لقضاء عطلة نهاية الاسبوع...» ابتسم بهدوء وهو يقول: «إنك تعلم أنني اشتريت المنزل القرميد ذاك منذ أشهر قليلة؟»

أجاب وليام: «نعم.» وكان واضحاً أن هانتر لم يكن محبوباً من هذا الرجل، ولكن كان واضحاً كذلك أن هذا لم يكن ليجازف بإظهار الخصومة له، فتابع كلامه قائلاً: «حسناً، إن حالة هذا الصبي كما أراها، هي...»

وأثناء استماعها إليهما، لم تكن عيناها تتحولان عن وجه هانتر لحظة واحدة، هل كان الدكتور ميتشيل استدعاه طالباً منه القدوم إلى هنا؟ ولم تستطع أن تتصور أن يقوم الدكتور ميتشيل بهذا، ولكن لم لا وكل شيء في عالمها قد أصبح مخيفاً غير عقلاني؟ لماذا أتى إلى هنا؟ هل يظن أن بإمكانه أن يكون ذا فائدة لتوبي؟ وغمرها الرجاء إلى حد الألم، أيمكن ذلك حقاً؟

أنهى هانتر الحديث قائلاً: «شكراً لتعاونك يا وليام.» وهنا أدركت ستيفاني أنها لم تفهم كلمة مما كانا يتحدثان به، ولكنها رأت هانتر يقف وفي يده ملف عن حالة توبي. ومرة أخرى غمرها الرجاء إلى حد الألم وهانتر يقول مخاطباً وليام: «سأتصل بكم صباح الغد، ولكن هل بإمكاننا الآن أن نلقي نظرة على الصبي؟ هل هو في غرفة مستقلة؟»

أومأ الرجل الآخر بسرعة وهو يقول: «نعم، حالياً.»

ابتسم هانتر بهدوء قائلاً: «إنني أريده أن يبقى هنا، من فضلك. وأريد أن ترسل إليّ ما يجدّ بشأنه. كما أريدك أن تسجّل أن الآنسة موراي هي الآن مقيمة في المنزل القرميد

أثناء وجود توبي هنا. هل لك أن تقوم بهذا؟ وأنا سأبلغك إذا ما تغيّر الوضع.»

أجاب وليام: «بالتأكيد، بالتأكيد.» وعندما سار معهما إلى غرفة توبي، كان في منتهى الكياسة معها. لا بد أن شأنها الآن قد ارتفع في نظره، وكانت ستيفاني تفكر في ذلك متهكمة. ولكن هذا غير مهم لا شيء يهمها الآن سوى توبي.

وعندما دخلوا الغرفة الخافتة الضوء كان توبي مستغرقاً في النوم، وكانت ممرضة شابة تجلس بجانب سريره، وبعد كلمات قلائل تبادلها هانتر مع الممرضة، علم منها أن حالة توبي لم تتغير. أمسك بيد ستيفاني يبعدها عن سرير توبي حيث كانت تقف بجانبه ودموعها تسيل على وجنتيها مرة أخرى، وهو يقول لها: «إنك منهوكة القوى. هيا بنا نخرج.» وأومأ برأسه إلى الممرضة بينما تركهما الطبيب عند باب الغرفة. وكان هو يتابع: «عليك أن تتناولي مهدئاً، أيتها الشابة ثم تنامي قليلاً.» وتركته يقودها خارج المستشفى وهي ما زالت تشعر بنفسها كالحالمة، ولكنها ما أن رأت السيارة تبعد عنهما مسافة أمتار وشعرت برذاذ مطر شهر أيار (مايو) على وجهها حتى عادت إلى الواقع فجأة، فنظرت حولها بذهن شارد وهي تقول: «إن سيارتي في مكان ما، هنا. ولكن ليس بإمكاني أن أترك توبي. على كل حال، عليّ أن أعود إليه...»

عندما استدارت تبغي الرجوع، أعادها قائلاً بخشونة: «إنه أعطي منوماً يا ستيفاني، ولن يستيقظ قبل ظهر الغد. وأنت بحاجة إلى نوم مريح لن يتيسر لك هنا.»

فأجابت وقد عثرت على سيارتها على بعد حوالي الخمسين متراً: «حسناً، سأذهب إلى بيتي لعدة ساعات. وشكراً لقدومك...»

قاطعها قائلاً: «إنك ستأتين معي، يا ستيفاني فأنا لن اتركك بمفردك.»

وبالرغم من ألمها لحالة توبي، والإرهاق الذي كان يجعل ساقيها تهتزان، اندفعت تقول بعنف: «ليس بإمكاني هذا طبعاً. وهذا من كرم أخلاقك...»

قاطعها قائلاً: «يا لكرم أخلاقي. إن الحالة التي أنت عليها الآن لن تسمح لك بالعودة سالمة إلى بيتك. وأنت بحاجة إلى من يرعاك. فأنت تعانين من صدمة مريعة.»

«هذا ليس ضرورياً.» وذعرت وهي ترى الدموع تعود إلى التجمع في عينيها لإصراره هذا. إنها لا تريد أن تبكي مرة أخرى. إنها لم تبكِ مطلقاً عند وفاة والديها ولا بعد ذلك. ولكنها، فجأة، لم يعد بإمكانها التوقف عن ذلك وعادت تقول: «في الواقع إنني لست...»

تنهد وهو يرى دموعها تعود إلى الانهمار، وهو يقول لها: «كفّي عن التظاهر بالشجاعة. اخرجي كل ما بنفسك من مشاعر.»

تراجعت وكأنه قال شيئاً سيئاً، ثم قالت: «لا أستطيع ذلك.»

نظر إليها بإمعان وهو يقول: «لا تستطيعين؟ ستيفاني موراي، القوية أليس كذلك؟ المكتفية ذاتياً والتي لا تحتاج أحداً، والتي هي قانون قائم بذاته؟»

حدّقت فيه بحيرة وغضب لنفاقه هذا، وهي تقول: «إنك، بهذا القول إنما تصف نفسك ليس إلا.»

نظر إليها بعينين ثابتتين وهو يردّ عليها قائلاً: «ربما. ولكنه لا يناسب طبيعتك، وهذا هو الفرق. أظنك أخذت كل شيء على عاتقك عندما مات والداك أليس كذلك؟ لا دموع ولا إظهار مشاعر؟ وعاملت توبي كجزء من نفسك.»

قالت بغضب: «وماذا في ذلك؟ إن هذا ليس من شأنك.»

قال وقد بدا في وجهه شيء من القسوة: «إنني، بصفتي طبيباً لا أوافقك على هذا. فأنت إذا لم تستعملي الوسائل الطبيعية للتخلص من مشاعرك، ستصابين بالإنهيار. لقد فقدت والديك وها أنت ذي تصابين بصدمة أخرى بعد سنة ونصف، إن الطبيعة الانسانية لا تحتمل أكثر من ذلك. إن عليك أن تتخلصي من كل ما يؤلمك لكي تتمكني من مواجهة...» وسكت فجأة.

همست بفتور وقد اتسعت عيناها رعباً: «مواجهة ماذا؟ هل هو سيموت؟»

أجاب بشكل يشير إلى شعور داخلي بالخيبة: «إنني، حالياً لا أستطيع أن أعدك بشيء. إنني لن أكذب عليك حالياً، يا ستيفاني.»

كلا... إنه لن يكذب عليها، وأغمضت عينيها لحظة وهي تترنح حزناً. إنه لم يكذب عليها بالنسبة إلى حظ توبي من الشفاء... ولكن، آه... إنها تتمنى الآن فقط، لو يكذب عليها.

سألته وهي ما زالت تواجهه في موقف السيارات: «لماذا جئت إلى هنا هذه الليلة يا هانتر؟»

أجابها وهو يشير إلى سيارته بضيق: «اصعدي. إنني لن أسمح لك مطلقاً بقيادة سيارتك إلى بيتك. فالأفضل أن تسلمي بصحة رأيي هنا الآن. إنك متعبة وترتجفين من

البرد وأنا جائع إلى حد بعيد. فهيا اصعدي إلى السيارة.»

فقالت وهي تستقرّ في مقعدها من السيارة بعد أن أغلق الباب خلفها: «لا بأس إذا كنت ستوصلني إلى بيتي.» ولم يجب، بل استدار حول السيارة ليجلس في مقعد القيادة وقد بان الجمود على وجهه. وعادت هي تقول: «وما الذي أتى بك، على كل حال؟»

كانت السيارة قد تحركت بهما الآن، فأجاب: «لقد سبق وأخبرتك هناك... لقد أخبرني الدكتور ميتشيل عن توبي.» وألقى عليها نظرة قصيرة وهو يخرج بالسيارة من محيط المستشفى إلى الطريق العام، ليتجه إلى المدينة الريفية ثم تابع قائلاً: «أظنه استعلم عن حالته بما يكفي ليجعله يعتقد أنها ربما كانت تهمني.»

قالت بهدوء وقد شعرت بسهم مؤلم يصيبها في أعماقها: «هل هذا فقط ما قاله؟ حالة لا تعدو أن تستجلب اهتمام هانتر؟»

هزّ كتفيه قائلاً: «مهما كان الأمر، فهل هذا مهم؟»

أجابت: «كلا.» وأغمضت عينيها وقد أصابتها حركة السيارة بالدوار، فلم تر النظرة المتفحصة التي ألقاها على وجهها الشاحب، وهي تتابع قائلة: «إن حضورك كان شهامة كبرى منك رغم أنك جئت لقضاء عطلة الأسبوع.»

قال بصوت هادىء تشوبه السخرية: «إنني رجل بالغ الشهامة، يا ستيفاني. بالمناسبة، ما مدى معرفتك بمعلم المدرسة ذاك؟» وكان صوته الساخر يظهر وكأن كريغ ما زال صبياً صغيراً.

فقالت وهي تزيد من إراحة نفسها في ذلك المقعد:

«أتعني كريغ هاموند؟ إنني في الحقيقة لا أعرفه جيداً رغم أنه كان مهذباً بتصرفاته معي اليوم.»

سألها: «ما معنى هذا؟»

حدّقت فيه ساخطة وتابعت: «إنه كان مهتماً بتوبي، بالطبع فهو يعرفه جيداً.»

قال: «بالطبع.»

قالت بفتور: «لا أدري لماذا تسخر منه بهذا الشكل. ولكنه ساعدني عندما كنت بحاجة إليه. إن في العالم أشخاصاً لطفاء كرماء الأخلاق كما تعلم، لو أنك بحثت بجد. حتى في عالمك أنت.»

أجاب: «إنني لا أشك في ذلك.» ورأت ابتسامته الساخرة وهو يتكلم. وتابع قائلاً: «وهناك طبعاً وحوش في آخر الحديقة.»

قالت بضعف: «إنك أسوأ رجل عرفته، عدا عن السخرية والخشونة اللتين يتصف بهما سلوكك.»

قال مرة أخرى وهو يضحك بجفاء: «لا أشك في ذلك.»

مضت دقائق ساد فيها الصمت، ولكن توقف الحديث بينهما أعطى مجالاً للقلق العنيف في نفسها على توبي مرة أخرى. وأرادت أن تنام أرادت أن تنام مهما كان الثمن. ولكن خوفها على أخيها كان يمنعها من ذلك. توبي... آه يا توبي... وأخذت تحدق من النافذة بعينين ملأهما الرعب.

نظرت حولها بدهشة في الطريق الذي كانا يسيران فيه، وسألته: «أين نحن؟ لو أنك بقيت سائراً في الطريق العام، لوجدت طريقاً يؤدي إلى كوخي مباشرة. أما هذا الطريق فهو يقود إلى القرية أولاً، ثم عليك بعد ذلك أن تتحول القهقرى.»

قال ببرود وإيجاز: «يا لي من غبي.»

ولما أدركت قصده، قالت: «إنني لست قادمة معك إلى منزلك، وأنا أعني ما أقول يا هانتر.»

وبعد ذلك بثلث ساعة كانت ما تزال تجادله في ذلك، عندما استدار إلى الطريق الواسع الذي يؤدي إلى المنزل القرميد ثم وقف أمام درج عريض لمنزل واسع من الطراز الفيكتوري. وكانت الأنوار تتألق في منافذ لغرف عديدة في الطابق الأسفل فنظرت إليه بدهشة وهو يفتح باب السيارة لها وقد بان الغموض في عينيه، وهي تقول: «ظننتك قد جئت من لندن إلى المستشفى مباشرة؟»

نظر إليها ساخراً وهو يقول: «هذا ما فعلت. ولكن هناك آلة صغيرة تسمى الهاتف وهي رائعة للاتصالات عبر المسافات الطويلة. فاتصلت بمدبرة منزلي قبل أن أترك لندن وأخبرتها أنني قد أعود بصحبة ضيفة وقد يكون ذلك في وقت متأخر. وفي العادة تأوي السيدة جونس وزوجها إلى النوم بعد الساعة الواحدة، وهكذا أردت أن يبقيا مستيقظين.»

قالت وقد شعرت بارتياح بدا في وجهها: «مدبرة منزلك؟ هل هي تسكن في البيت؟»

ابتسم بهدوء، وقال: «طبعاً.»

فتح باب السيارة لتخرج وهو يقول: «هيا، دعينا نحضر لك شيئاً تأكلينه ومن ثم تذهبين إلى النوم فوراً.»

وما أن أصبحا في القاعة الفاخرة المفروشة بالسجاد الذي تغوص فيه الأقدام حتى قال لها: «ستيفاني؟ أهلاً بك في منزلي.»

وفي هذه اللحظة، فتح باب بجانبها لتبدو منه امرأة قصيرة بدينة هي مدبرة المنزل وبجانبها رجل يماثلها قصراً وبدانة. وحدقت في ذلك الوجه وهو يشرح الأمر لمدبرة المنزل التي كانت تستمع إليه وعلى وجهها إمارات العطف والتفهم.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

عندما استيقظت ستيفاني في صباح اليوم التالي، وجدت نفسها في غرفة مضيئة تغمرها أشعة الشمس وبجانب سريرها كانت مدبرة المنزل تضع صينية الإفطار. وابتسمت لها المرأة ببشاشة وهي تسوّي الوسائد خلفها، قائلة: «صباح الخير، يا عزيزتي. هل رقدت جيداً.»

نظرت ستيفاني إليها بدهشة وهي تجيبها قائلة: «لا بد أنني رقدت مع أنني لم أتوقع ذلك.»

وعقدت حاجبيها وهي تتذكر ما حدث أمس، ثم اتجهت عيناها إلى الهاتف بجانبها.

قالت المرأة وقد قرأت ما جال بذهنها: «لقد سبق واتصل السيد رايان بالمستشفى يا عزيزتي. ان الغلام ما يزال مستغرقاً في النوم كما فهمت. والآن، استريحي وتناولي افطارك. يجب ان تحتفظي بقواك.»

وما أن خرجت المرأة من الغرفة، حتى استندت ستيفاني بظهرها إلى الوسائد خلفها، والصينية في حضنها، وأخذت تجيل بصرها في أنحاء الغرفة البديعة. كانت من نوع الغرف التي كانت تعجب بها دوماً في المجلات والتي تعكس حياة الأناس الأغنياء المرفهين. سجادة بيضاء سميكة، ستائر صفراء فاتحة اللون، اغطية السرير كانت ألوانها مزيجاً من اللونين الأصفر

والأبيض. منضدة الزينة من الرخام الأبيض قام عليها إناء يحوي أزهاراً يانعة غضة كان شذاها يملأ جو الغرفة. وعاد قلبها يلتوي ألماً وقد هاجمها الحاضر بكل زخمه، إذ جدد وضعها هنا من حزنها وقلقها على اخيها. ومن ثم أرغمت ذهنها على التوقف عن التفكير وهي تقضم قطعة من الخبز المحمص.

ربما لم يكن هو مهتماً بها مطلقاً، فاهتمامه هو بتوبي ربما راجع إلى شخصيته كطبيب ليس إلا، بعد أن أيقظ اتصال الدكتور ميتشيل به، فضوله المهني. كما أن هذا السبب نفسه الذي دعاه للاهتمام بتوبي، هو الذي جعله يحضرها إلى منزله لكي لا تبقى بمفردها في بيتها. وهذا هو كل ما في الأمر. إنما القضية الأساسية هنا هي، هل بإمكانه أن يساعد توبي على الشفاء؟ وأغمضت عينيها وقد اجتاحتها موجة جديدة من الألم خطفت منها الأنفاس.

«صباح الخير.» وما أن فتحت عينيها فجأة، حتى رأت هانتر مستنداً إلى الباب المفتوح بتكاسل، وقد بدا الغموض على وجهه وهو يقول: «لقد قرعت الباب ولكن يبدو أنك كنت في عالم خاص بك.»

أجابت: «لا بأس.»

قال: «لقد أخبرتني السيدة جونس أن المنوم الذي اعطيتك إياه كان ناجحاً تماماً.»

أجابت: «نعم...» وسكتت لا تعرف ماذا تقول. وحاولت ان تدفع نفسها إلى الكلام، إلى أن تقول شيئاً، أي شيء، ولكن دون فائدة. لم يسبق لها

قط أن شعرت بمثل هذا الخجل والضعف في حياتها.

وما لبث أن أشار إلى الصينية قائلاً: «أريدك ان تأكلي كل هذا.»

حدقت في الصينية الحافلة. قطعتان من الخبز المحمص، وشيء من المربى وإبريق كبير من عصير الليمون وطبق مملوء بالسجق، واللحم والطماطم والبيض والخبز المقلي... وقالت: «كل هذا؟ ولكن ليس بإمكاني ذلك.»

قال باقتضاب: «حاولي.» وسكب لها كوباً من العصير، وضعه في يدها بابتسامة خفيفة. ثم نظر إليها مقطباً جبينه قليلاً وهو يقول: «كفى قلقاً فهذا لن يفيد، وتوبي يريد ان يراك هادئة واثقة عندما تذهبين إليه.»

قالت وهي ترفع بصرها إليه: «أعلم ذلك. ولكنني خائفة، يا هانتر.»

«اسمعي، تناولي الآن فطورك هذا، أما توبي فسنتحدث بشأنه في ما بعد.»

قالت وهي تعض على شفتها تمنع بذلك دموعها التي تجمعت في حدقتيها، من الانهمار: «ولكن، ما هو الخطأ الذي بدر مني؟»

قال: «لا شيء، أيتها العزيزة، لا شيء مطلقاً. إنني أعلم أنك بحاجة إلى أن تتحدثي... أن تخرجي ما بنفسك.» وهز رأسه وقد بدت على شفتيه ابتسامة أسف وهو يتابع قائلاً: «تباً لي من طبيب.»

قالت: «إنني أعرف أنك ستحاول معالجة توبي، أما ذلك

الطبيب ليلة أمس... لقد كان رقيقاً تماماً، ولكن...» وسكتت ثم رفعت رأسها إليه وتابعت تقول: «لقد رفض إجراء عملية بناء على نتائج الفحوصات السيئة. كذلك لن يقبل بذلك أي طبيب آخر. هل لك أن تساعدني يا هانتر؟»

حدق فيها قائلاً: «ستيفاني. ساعديني. انك تعلمين كم ارتاح إليك... هل تدركين ماذا أعني بذلك؟»

قالت محولة بصرها عنه: «نعم، آه يا هانتر...» ولم تدرك ما تقول وهي تتابع: «وأنا أعلم أنك ستساعد توبي.»

لم تكن تعني بكلامها هذا وعداً له، بل كانت تعني به مجرد إظهار الثقة به، وتأكدها من أنه سيبذل وسعه في علاج أخيها بصرف النظر عن أي شيء آخر.

«إنني سأفعل كل ما بإمكاني لأجل توبي، يا ستيفاني، ولكن من دون أن آخذ أي قرش مقابل ذلك.»

قالت: «إنني لم أكن أعني بكلامي...»

قاطعها قائلاً: «إنني أعلم ما كنت تعنين.» وشعرت به وكأنه يصفعها، فانكمشت في مكانها، وقد بان الألم في عينيها. وقال هو ببطء: «لقد اخفتك، أليس كذلك؟ إن هذا يبدو واضحاً في وجهك.» استدار على عقبيه بحركة واحدة ثم خرج من الغرفة صافقاً الباب خلفه بشدة اهتزت لها الجدران.

انهمرت دموعها تغسل وجنتيها، فاستدارت تدفن وجهها في الوسادة وهي تنشج باكية حتى أحست بقلبها ينفطر.

جاءها صوت مدبرة المنزل يقول: «كلا، كلا يا

حبيبتي. إنني متأكدة من أنه سيشفى...» وفتحت ستيفاني عينيها وهي تشعر بذلك الصوت الحنون ينتشلها من وهدة اليأس. ثم جلست تمسح عينيها بقفا يدها. وعادت المرأة تقول ببطء: «انهم يعملون كثيراً هذه الأيام. وما دام طبيبه المعالج هو السيد رايان، فهذا من حسن حظ أخيك. والآن أرى انك لم تأكلي شيئاً وهذا ليس حسناً، ليس حسناً ابداً.» نظرت إلى وجهها الذي يبلله الدمع، ثم عادت تقول: «أدخلي الآن الحمام اغسلي وجهك ثم عودي، وسأكون أنا، هذه الأثناء، قد أعددت لك صينية افطار غير هذه تجدينها بانتظارك. ان السيد رايان يريد منك أن ترافقيه إلى المستشفى في خلال ساعة، وليس باستطاعتك ان تذهبي بمعدة فارغة. أليس كذلك؟»

وما أن خرجت السيدة جونس من الغرفة، حتى أخذت ستيفاني تحدق في أثرها بتعاسة. لقد مضى وقت طويل منذ كانت أمها تدللها هكذا... سنة ونصف في الواقع. ومع أنها كانت غالباً تحب الشعور بالاستقلال والاعتماد على نفسها، فقد كانت ما تزال تفتقد أمها وحنانها. وقد ابتدأ الألم يخف تدريجياً ولكن كان لا بد أن يمضي بعض الوقت لكي تتعلم كيف تتعايش مع الألم، الألم لشعورها بأنها ستحن دوماً إلى والديها وإلى حبهما غير المحدود.

وأوشكت دموعها أن تنهمر مرة أخرى، ولكنها اطبقت اسنانها بحزم. يبدو أنها لن تتوقف الآن عن البكاء رغم أنها لم تفعل ذلك طوال الثمانية عشر شهراً السابقة، حسناً، هذا يكفي. ان توبي بحاجة إليها، وهناك أشياء

عليها أن تقوم بها. فهي لا يمكن أن تسمح لنفسها بالإنهيار الآن.

وعند خروجها من الحمام، وجدت أن السيدة جونس قد أحضرت لها صينية إفطار أخرى تنفيذاً لوعدها.

إنها ستواجه ما عليها أن تواجه، ثم تسعى لجعل حياة توبي مريحة قدر الامكان. وكل البكاء والنواح في العالم لن يفيدها بشيء. يجب أن تحتفظ باليقظة التامة وتبقى دوماً تلك الأخت الراسخة التي يمكن الوثوق بها والإعتماد عليها، والتي عرفها على الدوام، فهي كل ما يملك في هذه الحياة.

ساعدتها هذه الأفكار على تناول افطارها كاملاً.

وما أن نزلت إلى الطابق الأسفل بعد ذلك بدقائق، حتى رأت رايان وهو يشير إليها قائلاً: «كلمة واحدة من فضلك.»

وعندما تبعته إلى مكتبه الذي يغطي جدرانه الكتب، ودخل هو في الموضوع رأساً. وقد بدا البرود في عينيه والصرامة في ملامحه، فقال: «إنني آسف بالنسبة لهذا الصباح. وكل ما استطيع قوله إن هذا لن يحدث بعد الآن طالما أنت تحت سقف بيتي وفي حمايتي. وهذا وعد مني بذلك. لقد كان ما حدث سيئاً للغاية.»

قالت: «هانتر...» ولكنه هز رأسه بسرعة يقاطعها قائلاً: «دعيني أتم كلامي يا ستيفاني.»

تابع قائلاً: «لقد درست حالة توبي في اوراقه هذا الصباح، ومن ثم تحدثت بشأنه إلى وليام هيرالد مرة أخرى. أظن أن من الأفضل إجراء المزيد من الفحوصات

وأنا أفضل إجراءها في لندن في المستشفى الذي أعمل فيه. هل توافقين على ذلك؟»

أومأت برأسها بلهفة وهي تقول: «طبعاً.»

قال: «إنني لا أريده أن ينقل من مكانه قبل أيام قليلة، تكون حالته أثناءها قد استقرت، وبعد ذلك ننقله إلى لندن حيث نجري له اللازم. وقد تأخذ كل هذه الإجراءات أسبوعاً أو نحوه، وبعد ذلك يكون لدينا صورة كاملة لما ينبغي علينا عمله. والآن، إلى أن ننقله، أفضل أن تبقي أنت هنا.» وما أن حاولت الاعتراض، حتى أسرع يقول: «إنني عائد إلى لندن هذا المساء، تلبية لدعوة للعشاء، ولكن السيدة جونس ستعتني بك إلى حين عودتي، ربما... نهار الجمعة؟» وكان ينظر إليها بإمعان ولكن ما شعرت به من الذهول منعها من أن تلاحظ ذلك. بينما كان هو يتابع قائلاً: «أظنك ترغبين في أن تبقي معه أثناء إجراء الفحوصات.»

سألته مترددة: «أيمكنني هذا؟»

أومأ برأسه قائلاً: «طبعاً. لقد تكلمت مع الدكتور ميتشيل فقال إن ليس هناك أية مشكلة في هذا من ناحية عملك، فمن المهم ان يكون توبي سعيداً وهادئاً قدر الإمكان، أتفهمين؟ والآن، هل نذهب؟» وأشار إلى الباب خلفها بوجه جامد لا يسبر غوره.

قالت: «إنه لطف فائق منك، ولكن الأفضل ان أذهب إلى بيتي إذا لم يكن لديك مانع. فليس ثمة حاجة إلى...»

قاطعها ببرود: «إن لدي مانع، وهناك كل الحاجة. ان كوخك هو منعزل جداً، هذا إلى انك ستمضين ساعات طويلة

في المستشفى، ولن تأكلي كما يجب. ان لدي مريضاً واحداً عليّ أن اعتني به، ولا أريد اثنين. ان بإمكاني الاتصال بك بسهولة هنا، كما أن السيدة جونس يمكنها أن تؤدي لك شؤونك، كما أنها ستكون أيضاً مرافقة فيما لو شعرت بالحاجة إلى الكلام. والآن، أرجوك ان لا تناقشيني.» ومشى نحو الباب مشيراً إليها لترافقه وهو يتابع قائلاً: «انني لن اكون هنا إذا كان هذا ما يزعجك. والآن، هيا بنا إلى المستشفى.»

وبقي على سلوكه هذا بقية ذلك النهار، إنما معها فقط. وقد لاحظت ذلك عندما جلس مع توبي. فقد كان يتبادل معه الضحك والمزاح ما لم تشك معه في حبه للأطفال وسروره بهم. وفي الوقت الذي ترك فيه الغرفة بعد ذلك بساعة، كان واضحاً، أن توبي قد نشأ في نفسه حب طبيبه وهو يقول لشقيقته: «أليس هو رائعاً، يا ستيفاني؟» وكان لون وجه توبي أقرب إلى طبيعته هذا النهار. فارتاحت وهي ترى ذلك رغم ان اللون الأزرق لم يبارح شفتيه نهائياً. وكان هو يتابع قائلاً: «هل سمعته يقول ان بإمكاني أن أقود سيارته عندما أتحسن؟ إن لديه حول بيته حقلاً كبيراً قال لي ان بإمكاني أن أقود السيارة حوله، برفقته.»

أومأت برأسها بحذر وهي تقول: «هكذا... انك مسرور إذن؟»

وفي الوقت الذي عاد فيه لأخذها الساعة السادسة، كانت تشعر بمنتهى التعب. وكان توبي قد استغرق في النوم أثناء مشاهدة برنامجه المفضل في التلفزيون. وعندما ظهر

رأس هانتر عند الباب، نهضت بهدوء، وقبلت رأس توبي بخفة ثم توجهت نحوه، مطفئة التلفزيون في طريقها. وبينما كانا يسيران في الممر الطويل، ألقت عليه السؤال الذي كانت تجاهد في عدم إلقائه، ففشلت: «مع من ستتناول عشاءك؟»

أجاب باختصار: «مع صديق.»

فعادت تسأله بخفة: «صديق أم صديقة؟» وكان هذا غباء منها، في الحقيقة، لأنها كانت تعلم الجواب على كل حال.

وألقى عليها نظرة باردة وهما يصلان إلى موقف السيارات، ثم قال: «وهل هذا أمر مهم؟ بالمناسبة، لقد دخلت إلى بيتك واحضرت لك حاجياتك التي كنت طلبتها، وهاك مفاتيحك.» وناولها إياها مشيراً إلى الحقيبة التي أحضرها والموجودة على المقعد الخلفي في السيارة.

قالت وهي تتناول منه المفاتيح: «اشكرك.»

ساد الصمت أثناء الطريق إلى منزله. ورافقها إلى الباب، ثم استدار ليعود إلى السيارة قائلاً: «ليلة سعيدة، يا ستيفاني.»

سألته بدهشة قبل أن تستطيع منع نفسها: «ألا تريد الدخول؟»

أجاب: «كلا. ان موعدي للعشاء هو عند الساعة الثامنة. ان السيدة جونس قد جهزت لك عشاء خفيفاً يمكنك تناوله في حجرتك إذا شئت. إنها ستحضر إليك الفطور متأخراً لكي تتمكني من النوم قليلاً. وبالمناسبة، سيارتك في أحد الكاراجات عندي هنا.»

حملقت فيه تسأله: «أحقاً؟»

أجاب: «لقد كان المفتاح مع المفاتيح الأخرى التي سلمتني إياها هذا الصباح. فكان منطقياً أن احضرها إليك لتستعمليها في الصباح.»

قالت له: «وأنت، طبعاً، رجل منطقي جداً.» ولم تعرف أي خبث استفزها لكي تثير حنقه. ولكن بروده أثار غيظها إلى حد لا يصدق.

نظر إلى وجهها الغاضب، وهو يرد عليها قائلاً: «أنا هكذا عادة. هل كنت تفضلين لو أنني تركت سيارتك في موقف سيارات المستشفى؟»

قالت بحدة: «كلا طبعاً.»

قال: «إذن، كفى تصرفاً كالأطفال.» وكان في منتصف السلم عندما تكلمت مرة أخرى، وكان صوتها الآن هادئاً خافتاً وهي تقول: «انك تجعلني أشعر بأنني طفلة عندما تعاملني وكأنني في سن توبي، إنني إمرأة ناضجة، يا هانتر، ولست...»

قاطعها قائلاً: «إنني أعرف ما أنت.»

ووقفت تحدق فيه بذهول وهو يهبط الدرجات بعنف، ثم يندفع إلى سيارته اللمبورغيني المنتظرة في الطريق. وابتعدت السيارة وهي تهدر وكأنها تحاول اثبات ما تتباهى به من قدرتها على قطع مئة ميل في الساعة، وذلك في عشرين دقيقة، لتختفي بعد ذلك في دوامة من الغبار. وقد تلاشى صوت محركها في ذلك الجو الخانق.

تنفست ستيفاني بعمق، وقد عقدت ذراعيها فوق

صدرها واغمضت عينيها تتخلص بذلك من أفكارها، كان عليها أن تشكره لإحضاره سيارتها. ما الذي كانت تفكر فيه؟ ثم سماحه لها بالمكوث في بيته، وتوبي... ما الذي جعلها بهذا الغضب، وعدم عرفان الجميل لكل ما صنعه لأجلها.

استدارت بسرعة وفتحت باب منزل هانتر لتدخل إلى القاعة الواسعة الفخمة وكأنها كانت تهرب من شيء ما.

الفصل السادس

كانت الأيام القليلة التي تلت، صعبة حقاً، ولكن عندما حانت عودة هانتر يوم الجمعة، شعرت ستيفاني بأنها، تلك الأيام، قد مرت هادئة نسبياً. فقد مرّ الوقت بشكل رتيب في المستشفى. وكانت تذهب إلى شقيقها الساعة العاشرة صباحاً ولا تعود قبل الغسق، فتقوم بمشاركة توبي اللعب على الألواح أمامه، وتقرأ له عندما يتملكه التعب وتقوم، عموماً، بأي شيء يجعل أيامه أقل صعوبة وضيقاً. وكان كريغ هاموند يزوره ساعة أو نحوها يومياً عند الخروج من المدرسة، ما وجدت معه نفسها تتطلع إلى زياراته تلك متشوقة. كان في استطاعتها الراحة اثناء وجوده مع اخيها، حتى إنها كانت تغفو أحياناً مرة أو مرتين أثناء قيامه بتسلية توبي إذا كان النهار متعباً.

كان الثلاثة يضحكون أمام برنامج تلفزيوني مساء الجمعة. وكان كريغ جالساً على طرف سرير توبي بشكل غير ثابت، عندما تصاعد قرع حاد على الباب تبعه دخول هانتر العابس الذي خنق فيهم الضحكات.

قال وهو يومىء بجفاء إلى كريغ بعينين ضيقتين باردتين: «مساء الخير.» وزادت برودتهما وهو يحولهما إلى ستيفاني ومنها إلى توبي الذي كان جالساً في سريره ينظر إلى بطله هانتر بشوق. وسأله هذا بهدوء وقد اكتسى وجهه بهدوء لم يكن موجوداً كلياً

www.elromancia.com

عندما كان متجهاً إلى ذينك الاثنين، سأله: «وكيف حالك أيها الفتى؟»

أجابه توبي وهو يبادله ابتسامته العريضة: «عظيم. لقد قالت ستيفاني إنني سأنتقل إلى مستشفاك قريباً، يا سيد رايان.»

أجابه هانتر: «أظن بما أننا سنرى بعضنا كثيراً أثناء الأسابيع القادمة، أليس الأفضل أن نترك إسم السيد رايان هذا؟ ما رأيك؟» وابتسم للوجه الشاحب الصغير بينما كانت عين الطبيب فيه تلاحظ زيادة في امتقاع الوجه. وتابع قائلاً: «جميل جداً أن تناديني هانتر. ونحن سننقلك في عطلة الأسبوع هذه إذا كانت تقبل أختك بهذا.» واستدار مرة أخرى إلى ستيفاني وهو يرفع حاجبيه متسائلاً.

وسارعت هذه تقول: «نعم، بالطبع. إن الأمر يعود إليك في ما تقول. إنك أنت الطبيب.»

قال: «هذا صحيح.» وعاد ينظر إلى توبي قائلاً: «وبصفتي كذلك، أظن أن مريضي ربما نال الكفاية من المرح في يوم واحد. إنني أريد أن أقوم بفحص سريع لتوبي، ربما إذا لم يكن لديك مانع؟» وأشار إلى الباب بيده، وهو يسألها برقة: «وأنت في سيارتك، بالطبع يا ستيفاني؟»

أجابت: «نعم.» وفكرت بهدوء في أنه لا بد قد رأى السيارة في الموقف، فما حاجته إلى السؤال إذن؟

وعاد يقول: «سأعود فأراك إذن في المنزل.» كانت جملة بسيطة تفوه بها ببراءة وإلفة ما جعلتها رسالة صريحة

للرجل الآخر الذي كان جالساً ينظر إليهما، ولكن بما أنها كانت قد نهضت وأخذت تجمع معطفها وحقيبة يدها، لم تستطع أن تدرك فحوى كلماته تلك والتي تذكرتها وهي في طريقها إلى المنزل ما جعلها تصر على أسنانها قهراً. وتذكرت وداع كريغ البارد لها في موقف السيارات، وتنهدت غاضبة. لقد فعل هانتر ذلك متعمداً... أراد أن يترك لدى كريغ انطباعاً خاطئاً...

وعاد إلى أحاسيسها الألم الذي كانت تقاومه طوال الأسبوع، انها لا تفهمه. لا تفهمه أبداً. لقد سبق وحذرها وبكل برود، بأن أي ارتباط بينهما سيكون قصيراً... هذا عدا عن تحذيرها من أنه لا يريد أي التزام، لا تورط ولا قيود في حياته بأي شكل من الأشكال. وإذا به عملياً، يساندها أثناء الأسبوع الماضي عندما كانت بحاجة لمن يساندها فعلاً أكثر من أي وقت في حياتها، مقدماً لها المعونة المالية والسكن والسيدة جونس لتعتني بكل شؤونها من طبخ وغسيل ثياب وما إلى ذلك.

لماذا فعل كل ذلك؟ هل أن حالة توبي مهمة عنده وغير عادية إلى هذا الحد؟

وكانت قد وصلت إلى المنزل القرميد منذ دقائق فقط، وقد خلعت حذاءها في غرفة نومها استعداداً للتخلص من روائح المستشفى التي علقت بثيابها وشعرها، عندما أطلت السيدة جونس من الباب دون أن تقرعه، قائلة: «لقد اتصل السيد رايان منذ فترة، هل رأيته؟ لقد طلب اعداد العشاء الساعة الثامنة والنصف وذلك لشخصين، إذا كان هذا يناسبك يا عزيزتي، وفي غرفة الطعام بالطبع. وهذا

يترك لك وقتاً كافياً للاستعداد اليس كذلك، إن الوقت الآن مازال السابعة.»

أجابت ستيفاني: «نعم، هذا حسن يا سيدة جونس. شكراً.»

وعندما أصبحت مرة أخرى بمفردها، سمعت قرع الباب مرة أخرى، ورفعت حاجبيها عجباً، هل هي السيدة جونس مرة أخرى؟ وماذا وراءها الآن؟

صاحت تقول: «دقيقة واحدة.» وكانت في منتصف الغرفة عندما عاد القرع ثانياً على الباب بشكل حاد غاضب، وسكتت هذه المرة لا تدري ماذا تفعل. إنها ليست السيدة جونس على الباب.

جاءها صوت هانتر يقول بفروغ صبر: «ستيفاني، هل يمكن أن أتبادل معك كلمة؟»

أجابت: «ألا يمكن أن يكون ذلك عند العشاء؟»

أجاب: «كلا.» وبدا صوته غاضباً متضايقاً وهو يلح قائلاً: «أريد أن أتحدث معك الآن.» وتوهج وجهها سخطاً للهجة التسلط التي بدت في صوته، وتنفست بعمق تهدىء من نفسها وتمسك عن الجواب اللاذع الذي كان يحوم حول شفتيها. إن هذا الشجار الدائم بينهما لا يفيد أي منهما، ولا بد لأحدهما من الاذعان قليلاً.

أجابت: «لا بأس. ولكن...»

ولكنه. كان فتح الباب أثناء كلامها، فسألته: «هل سيأخذ الكلام وقتاً طويلاً؟»

أجاب وهو ينظر إليها عابساً: «لا أظن، أتظنين أن من الحكمة أن يؤذن لأكثر من واحد بالدخول إلى غرفة توبي؟

إنه بحاجة حالياً إلى الراحة والهدوء، كنت أظنك تدركين ذلك.»

نظرت إليه ساخطة وهي تقول: «نعم، إنني أدرك ذلك. وزواره قليلون لا تعدو زيارة مختصرة من الدكتور ميتشيل وشيلي وزوجها ذات ليلة بعد العمل، وكريغ أحضر مرة أفضل صديق عنده لكي يراه وذلك نهار الأربعاء، وهذا هو كل شيء.»

قال: «ليس تماماً. أخبرني توبي أن كريغ هاموند يأتي لرؤيته كل يوم.»

أومأت بسرعة قائلة: «آه... كريغ، طبعاً كريغ يأتي يومياً. فهو، لأمر ما، يعتبر نفسه مسؤولاً عن انهيار توبي في الملعب اثناء درس الرياضة البدنية، حيث كان الأولاد جميعاً يتبارون في الركض في الطريق الريفي...»

قاطعها قائلاً: «هذا كله لا يهمني. فلو كان حدث أي شيء هذه الليلة، فان السيد هاموند لا يملك أية فكرة عن كيفية التصرف بالنسبة إلى صبي مريض.»

حدقت فيه بحيرة بالغة وهي تقول: «حسناً، إن هذا شيء سخيف. فقد كان كريغ رائعاً، يبقى لتسلية توبي حتى اخرج أنا لتناول فنجان قهوة او لأحضر له بعض البطاقات او الرسائل من أصدقائه. لقد كنا حقاً شاكرين له...»

قاطعها قائلاً: «آه، ها قد وصلنا إلى النقطة المهمة في المسألة. فان كنا، وهي تعني أنا كما أظن، حسناً، إنني آسف يا ستيفاني اذ أخبرك أن عليك أن تقومي بمصادقة الشبان في مكان آخر.»

صرخت فيه: «كيف تجرؤ؟» لم تستطع، في البداية أن

تصدق ما سمعت. ولكنها الآن، وقد توهج وجهها وقدحت عيناها شرراً، تملكتها رغبة عنيفة في أن تضربه، وعادت تصرخ فيه: «كيف تجرؤ على أن تقول لي شيئاً مثل هذا؟»

عقد ذراعيه فوق صدره وهو يقول بغاية من الغطرسة: «إن توبي هو كل ما يهمني.»

قالت: «وما يهمني أنا أيضاً.» كانت تعرف أن صوتها كان عالياً، ولكن لم يكن هناك ما تستطيع عمله إزاء ذلك. وعادت تقول: «إن كريغ هو أحد معلمي توبي، ولا شيء أكثر من ذلك.»

قال ببرود: «والآن، أنت التي أصبحت سخيفة. هل تتوقعين مني حقاً أن أصدق أنك لا تدركين مشاعر ذلك الشاب نحوك؟ إنه معجب بك، يا ستيفاني، إن هذا يبدو في كل نظرة، وكل إيماءة يقوم بها.»

قالت: «أنا لا أصدق هذا. حتى ولو كان صحيحاً، فهذا لا يعني أنني أشجعه على ذلك أو أنني أبادله نفس الشعور، أليس كذلك؟ لا يمكن لك أن تخبرني أنك وصلت إلى سنك هذا والذي هو... كم هو سنك؟»

أجاب ببرود: «تسعة وثلاثون عاماً.»

قالت تتابع حديثها: «إلى سن التاسعة والثلاثين دون أن تحبك إمرأة لا تبادلها أنت نفس الشعور؟ إن كريغ ما يزال في الرابعة والعشرين وهو مجنون بالرياضة، ولا يوجه اهتماماً يذكر نحو الفتيات كما أعلم..»

قال بلهجة غاضبة: «في الرابعة والعشرين؟ هل تريدين أن تقولي إنه أقرب إليك في السن مني أنا؟»

قالت: «ماذا؟» وتساءلت عما إذا كان يتكلم بالألغاز وعما إذا كانا يتحدثان في نفس الموضوع.

وعاد يقول: «لأنك إذا كنت فعلاً كذلك، فانني أؤكد لك أنه سيسأم منك في خلال أسابيع قلائل.»

قالت وهي تهز رأسها مرتبكة، محاولة أن تفهم شيئاً مما يجري: «كريغ؟ ولكن لم يحدث قط أنني خرجت مع كريغ...»

قاطعها ببرود: «ولكن هذا سيحدث، صدقيني، فهو لن ينتظر طويلاً. وماذا سيكون جوابك لو أنه طلب منك موعداً؟»

أجابته قائلة: «أظن أن الأمر، عند ذاك، عائد إلي، أليس كذلك؟»

بقي لحظة يحدق فيها، ثم إذا بغضب عنيف يبدل من ملامحه الساخرة الخشنة تلك إلى شيء مخيف وهو يشتم بصوت خافت ثم يقول بصوت هادىء ينذر بالشر: «لا تعبثي بي، يا ستيفاني، فان وضعك صعب.»

صرخت فيه: «كف عن هذا.»

قال: «أجيبيني إذن.» وكانت عيناه تلمعان بعنف وهو يتابع قائلاً: «هل أنت معجبة به؟»

ان بامكانها دون سبب واضح، أن تعترف له بأن من يعجبها هو هانتر رايان، سواء الآن أم في أي وقت آخر. لم يكن هذا منطقياً، وليس فيه أي تعقل، ولكنها كانت متأكدة من ذلك إلى درجة خالط غضبها ألم وذعر في نفس اللحظة التي كان عقلها يدفعها إلى اخفاء هذه الحقيقة عنه بأي ثمن. كان عليها أن تبقى هادئة. وقالت بحذر: «كفى يا هانتر. لقد اعطيتني كلمة تتعهد

فيها بأنني سأكون آمنة تحت سقف بيتك. إن علاقتي بكريغ لا تخصك أكثر مما تخصني علاقتك بتلك المرأة التي ذهبت لرؤيتها في عطلة آخر الأسبوع.» وكان ذهنها يصرخ، كفى، كفى قبل أن تقرأ في عيني شيئاً لا أريدك أن تعرفه. لا أستطيع أن أدعك تدرك شعوري، ليس الآن ولا في أي وقت آخر. وعادت تقول: «إن اهتمامي كله كان منصباً على توبي هذا الأسبوع سواء قبلت هذا أم لا. إن بامكاني اعطاءك كلمتي بهذا الشأن.»

قال: «وهل هذا جواب؟»

وحرك رأسه مبدياً رفضه لهذا الجواب.

وقال لها: «إنني آسف يا ستيفاني، إنني لم أقصد هذا.» ثم اندفع خارجاً من الحجرة في خطوتين دون أن ينظر خلفه، وعندما أغلقت الباب خلفه، تهالكت على السجادة السميكة. عليها أن تخرج من هنا، تخرج إلى أي مكان، الآن...

وحنت رأسها وعيناها مغمضتان لماذا لم يحدثها عقلها بأن هذا الشعور الذي تملكها منذ أول لحظة وقعت عيناها عليه، تقريباً، بأن هذا الشعور كان اكثر من مجرد إعجاب؟... كان يجب أن يكون لديها وعي فطري يجعلها تعرف بمثل هذا الأمر قبل أن يتطور وتتأصل جذوره... وها قد فات الأوان الآن، فات الأوان. ليس بامكانها أن تذهب، ليس هناك مكان تذهب إليه وتوبي بحاجة إليها. وتأوهت وهي تنهض عن السجادة لتجلس إلى منضدة الزينة تنظر إلى وجهها الشاحب بعينين انهكهما القلق.

إنها تحبه. ها هي ذي تحب رجلاً لا يفكر بهذه الأشياء. وأثناء الأسابيع التالية، عليها أن تحتمل رؤيته كل يوم، مدركة بأنه سوف يحاول جهده من أجل توبي على منضدة العمليات. وسواء عاش توبي أم مات، فانها ستستمر في حبه مع اخفاء الأمر عنه. لأنه إذا أدرك ذلك... واتسعت عيناها بيأس، إذا هو أدرك ذلك فسيتمكن من السيطرة عليها.

وكلفها النزول إلى العشاء كل ما تملك من شجاعة لكي تبدو وكأن شيئاً لم يحدث.

وعندما دخلت غرفة الطعام عند الساعة الثامنة والنصف تماماً، كان وجه هانتر مظلماً وهو يقف لها ويسحب الكرسي لكي تجلس عليه.

قال: «ستيفاني...» ولكنها قاطعته برفع يدها بسرعة وقد جعل الغضب والارهاق، صوتها عالياً، وهي تقول: «أرجوك أن لا تقول شيئاً. ليس بالنسبة لما حدث في غرفتي.» وتنفست بعمق وهو يجلس أمامها، ناظراً إليها عبر المائدة التي تتلألأ بالأواني والأدوات الفضية والأكواب البلورية. وتابعت هي تقول: «لقد كان الأمر غلطة، ونحن الأثنين نعرف ذلك. فلننس ما حدث.»

سألها عابساً: «وهل بإمكانك نسيان ذلك؟»

«نعم، إذا استطعت انت ذلك.» وأرغمت عينيها على مواجهة عينيه دون أن تفصحا عن شيء من ذلك الألم العميق الذي يحتل اعماق نفسها، وتابعت تقول: «انك تقوم بالكثير لأجل توبي ولأجلي، وأنا شاكرة لك جداً.» وتابعت بسرعة عندما رأت وجهه يتجهم، فقالت: «ربما لا تريدني أن أذكر

ذلك، ولكنني سأفعل. لقد أسأت أنت فهم اشياء هذه الليلة وقد عملنا على تصفية الجو. فلنترك الأمر عند هذا الحد. انما هناك شيء.» كان عليها أن تذكر هذا الأمر، كما حدثت نفسها بألم. فقد كان هذا هو الحماية الوحيدة لها في المستقبل...

قال: «نعم؟»

قالت: «بعد تركك لغرفتي، جلست وأخذت أفكر. تفحصت قلبي إن كنت تحب هذا التعبير.» فأحسن من جلسته وقد بدت في عينيه نظرة غريبة كادت تجمد الكلمات على شفتيها، وهي تتابع قائلة: «وقد قررت أنه، ولو أنني لم أفكر في ذلك من قبل، قررت أنني معجبة جداً بكريغ هاموند.» وخفضت أجفانها وكأنها خجلى ولكنها في الحقيقة، لم تشأ أن تتابع النظر إليه وهي تكذب إذ تتابع قائلة: «ومع أنني لن أقوم بشيء من هذا القبيل قبل شفاء توبي، الا أنني بعد ذلك...» وسكتت.

قال: «فهمت.» ولم تجرؤ على رفع بصرها إليه. فقد كان الجو حولهما ثقيلا ينذر بالشؤم ما جعل انفاسها تتقطع، في شهقات عنيفة. وتابعت تقول بألم: «وهكذا فكرت في أن أوضح الأمر. وهذا أفضل.»

قال: «نعم. تماماً، هذا أفضل.»

ولكنه لم يجعل الأمر، برده هذا، اكثر سهولة، كما رأت. ورفعت بصرها ببطء، متوقعة شيئاً لا تعرفه، ولكن الوجه الخشن أمامها كان جامداً، كما كانت عيناه نائيتين.

قالت وهي تراقبه بهدوء. كانت الآن تقول الحقيقة على

الأقل: «انني، كما ترى، عندما اتزوج من شخص احبه، فسيكون هذا حتى آخر عمري. انني أريد اطفالاً، وبيتاً...»

قاطعها قائلاً بعبوس: «وهل تظنين أن بامكان كريغ هاموند أن يوفر لك هذا كله؟»

أجابت: «ربما.» وخفضت بصرها مرة أخرى وهي تعبث بالشوكة الفضية في يدها. وفكرت بصمت، ربما كلا. ولم تشأ أن تدع نفسها تفكر في السنوات الطويلة القاحلة التي أمامها عندما تصبح وحيدة، وهي ستبقى وحيدة. ذلك أنه ليس بإمكانها الحياة مع رجل غير هانتر. لن يكون لها أولاد ولا زوج يشاركها الضحك، ويكبران معاً. لقد دمر هانتر كل هذا. وعضت شفتها بشدة قبل أن تنظر إلى السيدة جونس وهي تدخل الغرفة بأول أطباق الطعام... والذي كان حساء لحم البقر.

كيف سيكون بامكانها أن تأكل؟ فكرت في ذلك وهي تشعر برائحة الطعام تحملها على الألم. ولكن لا بد من ذلك. عليها أن تبدو طبيعية هادئة متمالكة لنفسها. يجب أن لا يدرك شعورها نحوه. يجب أن لا يدرك ذلك أبداً، وهي لن يمكنها احتمال ذلك.

وانتهى العذاب هذا في النهاية. وعندما عادت إلى غرفتها تهالكت على سريرها بضعف وقد شردت عيناها. لقد كان هانتر أبلغها، أثناء العشاء، وذلك بصوت بارد أنهما سيرحلان في الصباح الباكر إلى لندن. ورفعت إليه عينين مندهشتين تسأله: «أبهذه السرعة؟ ولكنني ظننت..»

قاطعها بقوله: «أتريدين وقتاً للتوديع؟ ذلك سيكون

هاتفياً فقط. وهذا إذا كان ذلك ضرورياً، إذ لن يكون لدينا وقت كاف في الصباح. إنني أريد أن يستقر توبي في المستشفى عند ساعة الغداء على الأكثر.»

قالت وهي تنظر إليه: «وهل أتبعك بسيارتي أم...»

أجاب ببرود: «يمكنك أن ترافقي توبي في سيارة الاسعاف، أو أن ترافقيني. ومن الجلي أن توبي سيحب أن يراك بجانبه.»

أومأت برأسها بسرعة قائلة: «نعم.» ولكنها حدثت نفسها باكتئاب بأنه لا يريدها أن تكون بجانبه.

وعندما جالت ببصرها في أنحاء الغرفة الجميلة، وقعت نظراتها على الهاتف بجانب السرير. كانت السيدة جونس، عادة، تتسلم المكالمات في الطابق الأسفل، ولكن كل غرفة كان فيها هاتفها الخارجي الخاص لمن يشاء الاتصال. وكانت لم يسبق لها أن استعملت هاتفها بعد رغم أن هانتر كان قد أعطاها ملء الحرية لذلك. وهكذا، رفعت السماعة وطلبت رقم الدكتور ميتشيل. كانت بحاجة إلى التحدث إلى شخص ما، أي شخص، هذا إلى أنه سبق وطلب منها أن تطلعه على أي جديد بالنسبة لتوبي.

وما أن حملت إليها الأسلاك صوت الرجل العجوز، بلهجته الهادئة الحازمة، حتى شعرت بشيء أشبه بلمسة من التعقل في عالم مجنون. وكان يقول: «دكتور ميتشيل يتكلم.»

قالت: «إنه أنا... ستيفاني.» وتنفست بعمق. لقد عاد إليها ذلك الشعور السخيف بالرغبة في الانفجار بالبكاء،

وتابعت تقول: «فكرت في أن أجعلك تعلم أننا سنسافر إلى لندن غداً صباحاً. وهكذا سيمر أسبوع آخر قبل أن أعود إلى عملي في العيادة.»

قال: «لقد كنت أخبرتك يا ستيفاني أن تتغيبي بقدر ما تشائين. فان وظيفتك ستبقى بانتظارك إلى حين عودتك. إن اهتمامك يجب أن ينصب على توبي فقط. كيف حاله؟»

أجابت ببطء: «إنه أقوى قليلاً، وهذا كل شيء، أظن أن هانتر يرغب في إجراء الفحوصات، الآن، لكي يتأكد من كل شيء.»

قال: «يمكنني أن أدرك ذلك.» ومضت فترة صمت قصيرة، ثم عاد الدكتور ميتشيل إلى الكلام، وكان صوته فضولياً بعض الشيء، فقال: «لقد تملكتني الدهشة لحضوره إلى المستشفى بهذا الشكل، يا ستيفاني.»

قالت: «إلى المستشفى؟» ولأول وهلة، ظنت أنه يشير إلى معاملة هانتر لكريغ تلك الليلة، وتملكها الاستغراب. كيف عرف بالأمر؟

قال: «الأسبوع الماضي، عندما انهار توبي في المدرسة، لقد بدا لي الأمر غريباً، في الحقيقة. لقد كان اتصل ليسأل إن كانت سيارتك قد أصبحت الآن على ما يرام، بعد الحادث، ولكنني شعرت بأن هناك شيئاً آخر، شيئاً يجد صعوبة في السؤال عنه. وعندما ذكرت مرض توبي، بدا عليه الغيظ لأنني لا أملك معلومات أكثر أطلعه عليها.»

سألته بفتور: «هل فعل ذلك؟» ولكن هانتر جعلها تظن بأن الدكتور ميتشيل هو الذي اتصل به ليرى إن كان يقبل

بالاهتمام بمرض توبي، نعم، هذا صحيح. إنها متأكدة تماماً من هذا.

وتابع الدكتور ميتشيل قائلاً بهدوء: «في تلك الأثناء، لم يكن المستشفى متأكداً مما إذا كان قلب توبي هو الذي يسبب هذه المشكلات. وهذا على الأقل ما أخبروني به عندما اتصلت أنا أستفهم عن حالته. وهكذا، عدت فاتصلت بالمستشفى مرة أخرى حيث حصلت على معلومات قليلة أخرى. وعندما حاولت الاتصال بهانتر على رقم هاتفه من لندن، كان قد رحل، ربما ليرى توبي، لأنني علمت أنه كان معك بعد ذلك بساعتين.»

قالت: «آه، فهمت.» وعادت تجلس على السرير وهي تحاول أن تستوعب ما سمعته أذناها.

قال الدكتور ميتشيل مفكراً: «أظن أن هانتر شعر بالاهتمام بالصبي بعد أن كاد يصدمه بسيارته. وقد فهمت أنه كان عنيفاً قليلاً مع الصبي في ذلك الوقت.»

قالت: «نعم.» وأومأت برأسها لنفسها وللهاتف وهي تضعه من يدها. هذا هو الأمر إذن. لا بد أنه شعر بشيء من المسؤولية أو ربما الشعور بالذنب نحو توبي، ربما، لا بد أن هذا هو السبب في تدخله.

• • •

كانت الساعة الثالثة صباحاً تقريباً، عندما استغرقت في النوم، لتستيقظ مع العصافير، وتقف عند النافذة تلقي نظرة على الصباح الغائم. وكان وجهها شاحباً وعيناها تحيط بهما الظلال. إن الأيام القلائل المقبلة ستثبت ما إذا

سيكون بالامكان إجراء عملية أم لا، وكذلك حظ توبي من الشفاء.

لم يسبق أن شعرت قط من قبل، بمثل هذا الخوف او الاضطراب أو اليأس او التعاسة، حتى ولا عندما مات والداها واضطرت لترك الجامعة لتعتني بأخيها الصغير الحزين. هذا بالاضافة إلى فقدها أعز انسانين لديها في الوجود، وإلى تلاشي كل أحلامها الدراسية. ولكن، بالرغم من آلامها الساحقة في ذلك الوقت، كانت التساؤلات المرة، والليالي الأرقة، كانت ما تزال تحمل شيئاً من الأمل في المستقبل. أما الآن...

وأخذت تراقب زوجين من العصافير في شجرة معمرة أمام نافذتها، وهما يخرجان من تحت اوراق الشجرة، ثم يطيران هابطين يفتشان عن طعام شهي في الأرض الرطبة أسفل، ليعودا على الفور بحشرة سمينة في منقاريهما، ثم يهبطان مرة أخرى، وكانت أعينهما السوداء اللامعة تملؤها اللهفة. لا بد أن لديهما بيتاً بين أغصان الشجرة... بيتاً يحوي صغارهما. وتملكها الاكتئاب وهي تفكر بذلك.

وكان هذا طبيعياً. وفجأة، شعرت بالطبيعة كلها تسخر منها، الحشرات، الحيوانات، الانسان... كل منهم يجد رفيقاً، وينجب، إنها دورة الحياة، الزحف الطبيعي الذي يحفظ توازن الكون. أما هي، فسيكون عليها أن تسير في طريق الحياة بمفردها، وفجأة، احتل غضب عنيف، مكان التعاسة المرة التي خلفتها ساعات الليل الطويلة. هذا ليس عدلاً. ليس عدلاً على الاطلاق.

وعندما نزلت بعد ذلك، إلى غرفة الإفطار، كانت ترجو أن لا يكون هانتر هناك، ولكن ما أن فتحت الباب الكبير المصنوع من خشب السنديان المنحوت، حتى خفق قلبها بشدة وهي ترى رجلاً جالساً في طرف مائدة الافطار وقد حجبت وجهه جريدة مفتوحة بين يديه.

قال وهو يرفع عينيه بنظرة سريعة: «صباح الخير.»

وأومأت هي تجيب التحية قبل أن تبدأ بسكب فنجان قهوة لها، ثم تجلس على الطرف الآخر من المائدة مرغمة نفسها على دهن شريحة من الخبز المحمص بمربى المشمش.

سألها: «هل نمت جيداً؟»

أجابت: «ليس تماماً، إن هذا أسبوع مهم بالنسبة إلى توبي، أليس كذلك.»

أجاب: «وإليك أيضاً، إنه يعني لك الكثير، أليس كذلك؟» وكان صوته رقيقاً يحوي في اعماقه معنى الحنان.

أجابت ببساطة وهي تركز اهتمامها على قطعة الخبز بين يديها، تغالب بذلك دموعها التي كانت تتجمع في عينيها: «إنه كل من لي في هذه الحياة.»

قال: «نعم.» وكان صوته الآن قد أصبح أجش، وعاد يرفع الجريدة فجأة وكأنه بذلك يضع حداً للحديث، وهو ما أشعرها بالارتياح.

كانت قد ارغمت نفسها لتوها على ابتلاع آخر لقمة من الخبز، بعد أن رفضت الافطار المطبوخ الذي كانت عرضته عليها السيدة جونس، عندما ارتفع رنين جرس الهاتف. ونادتها السيدة جونس قائلة: «هنالك شاب على الهاتف

يطلبك، يا آنسة موراي. إن اسمه هو السيد هاموند.» وكانت المرأة تتحدث وهي ترسل المكالمة إلى الهاتف في غرفة الافطار ما جعل ستيفاني تشعر بالضيق، وقالت: «لا ضرورة لذلك، يا سيدة جونس، كان بامكاني تلقي المكالمة في القاعة.»

فابتسمت لها المرأة بوجه مشرق وهي تقول: «هذا كلام فارغ. تابعي تناول فطورك يا عزيزتي. وسأسكب لك فنجاناً ثانياً من القهوة. هاك الهاتف.»

عندما وضعته على المائدة أمام ستيفاني، وناولتها السماعة، أخذته هذه منها وهي تقول بحذر: «آلو.»

«ستيفاني؟» وكان صوت كريغ يشوبه القلق وهو يقول: «لقد اتصلت الآن بالمستشفى لأرى إن كان من المناسب أن أحضر معي صديقي رايموند بعد الظهر ليرى توبي، فأخبروني انه سينقل إلى لندن هذا الصباح. هل هنالك أمر سيء؟»

أجابت: «سيء؟ كلا طبعاً يا كريغ، لقد كنت تعلم أننا سننقل توبي إلى مستشفى هانتر هذا الأسبوع، أليس كذلك؟»

أجاب بهدوء: «لقد بدا الأمر مفاجئاً، هذا هو كل شيء.» وساد صمت قصير ثم عاد يقول بصوت متردد: هل ستعلمينني عن حالته؟»

أجابت على الفور: «طبعاً، لقد كنت عازمة على الاتصال بك هذا الصباح بعد الافطار قبل سفرنا.» وكانت منتبهة إلى اضطراب ذلك الوجه وراء الجريدة، وشعرت بالجو مشحوناً بالغضب، ولكن، لما لم يكن أمامها سوى أن تقوم بتمثيل

دور يبدو طبيعياً تابعت تقول: «إن توبي سيفتقدك، يا كريغ... لقد كان ينتظر زياراتك دوماً بشوق، و...»

قاطعها قائلاً: «وأنت؟ هل ستشتاقين إلي، يا ستيفاني؟»

ترددت حائرة، لقد كان في صوته شيء لم يكن فيه من قبل... أم لعل هانتر كان على صواب، وهي التي لم تلحظ شيئاً طوال تلك الأيام؟ وعضت شفتها بقلق. إذا كان كريغ يهتم بها، حتى ولو قليلاً، فعليها أن لا تشجعه مطلقاً على الظن بأن هناك أملاً في استجابتها. إن هذه ستكون قسوة بالغة منها. ولكن بعدما صرحت به لهانتر الليلة الماضية، كان توقيت هذا الاتصال الهاتفي سيئاً للغاية، حيث كان يستمع إلى كل كلمة تقولها.

قالت مراوغة: «إنني لست متأكدة مما تعنيه.» وقفزت مجفلة حين نهض هانتر عن المائدة بعنف جعل كرسيه تنزلق إلى الخلف مصطدمة بالجدار.

قال لها فجأة وهو يمر بسرعة وقد تجمدت ملامحه: «إننا سنشرع في السير بعد عشر دقائق.»

فقالت لكريغ بسرعة: «إنني آسفة، يا كريغ، لقد ترك هانتر المائدة الآن و...»

فسألها بهدوء وبشيء من الاعتذار: «ستيفاني، هل هو طبيب توبي فقط؟ إنني لا أريد أن أثقل عليك ولكنني بحاجة إلى أن أعلم إذا كان لي ثمة أمل معك. هل فهمت؟»

أجابت: «نعم، لقد فهمت.» وتنفست بعمق وهي ترجو أن لا يأتي جوابها قاسياً على الشاب الذي كان صديقاً طيباً للغاية طوال الأسبوع الماضي، وتابعت تقول: «وأنا آسفة يا

كريغ، إنني معجبة بك كثيراً... كثيراً جداً... ولكن ليس بتلك الطريقة.»

قال: «فهمت.» وتلا ذلك صمت دام عدة ثوان أغمضت أثناءه عينها بشدة وهي تشعر بالألم لفكرة أنها ستجرح إنساناً لم تر منه سوى اللطف والحنان. وعاد هو يقول: «حسناً، إنني أردت أن أعلم، وأنا آسف إذا كنت سببت لك أي حرج.»

قالت بسرعة: «كلا. إنك لم تحرجني. كما انني أنا التي تشعر بالأسف. إنني أتمنى من كل قلبي لو يتغير شعوري هذا، يا كريغ. إنني أكره شعوري الحاضر حالياً.»

سألها بهدوء: «هل هو هانتر؟»

أجابت بتعاسة: «نعم، ولكن ليس بالطريقة التي تظنها، إنه لا يريد ارتباط جدي مع أية امرأة.»

فقال: «إذن، فهو أحمق.» وسمعت آهة عميقة في الهاتف ثم عاد يقول: «قد يكون إنساناً لامعاً، ولكنه أحمق. هل بامكاني أن أعود لرؤيتك عندما تعودين؟»

أجابت: «إنني سأسر بذلك.» وألقت نظرة على ساعتها ثم قالت بسرعة: «علي حقاً أن أذهب الآن. وسأتصل بك هاتفياً عندما يجد شيء بشأن توبي.»

قال: «أرجوك أن تفعلي، ثم، ستيفاني...»

سكت فجأة، ثم عاد يقول: «إنني أريد فقط أن أقول إنني موجود في ما لو غيرت رأيك، هذا هو الأمر.»

قالت: «شكراً يا كريغ، إنك رجل طيب للغاية سأتصل بك في ما بعد.» وعندما وضعت السماعة في مكانها، رفعت بصرها لترى هانتر واقفاً عند باب مكتبه وقد بدا واضحاً

أنه سمع كلماتها الأخيرة. وما أن حدقت فيه من خلال باب غرفة الافطار المفتوح، حتى انتبهت إلى ذلك الغضب الخطر في ذلك الرجل، وإلى التجهم في وجهه، وما لبث أن عاد فدخل إلى مكتبه صافقاً الباب خلفه بعنف.

ووصلا إلى المستشفى دون أن يتبادلا أية كلمة في الطريق.

كان هانتر يقود السيارة بوجه معتم متحفظ.

كانت الرحلة إلى لندن مريحة تماماً. وعندما استقر توبي في غرفته، اختفى هانتر على الفور تقريباً ليعود بعد ذلك بساعة او نحوها حاملاً ملء ذراعيه إعلانات جدارية ألقاها على سرير توبي، بابتسامة عريضة، وهو يقول: «إنها صور من تفضله من لاعبي كرة القدم لتجميل جدران غرفتك.» وحدق بوجه مشرق في الوجه الفتي الذي كان ينظر إليه، والذي كان في منتهى الشحوب. وكان هانتر يتابع قائلاً: «سنعلقها بعد دقيقة واحدة. ولكن أولاً علينا أن نأخذ منك شيئاً من الدم لاجراء بعض الفحوصات، إتفقنا؟»

قال توبي: «اتفقنا.» وكان اهتمامه منصرفاً إلى الاعلانات اكثر مما كان نحو ما يجري لصحته. وعندما انتهت الممرضة من عملها، ابتدأ هانتر في وضع الاعلانات على الجدران ذات اللون الأخضر الباهت متبعاً تعليمات توبي. وعندما أخذ الاثنان يتبادلان ضحكات الدعابة حول فريقي كرة القدم المفضلين لديهما واللذين كانا سيتواجهان الأسبوع القادم، أدركت هي أنها لا تستطيع احتمال أكثر من ذلك. كيف ستتمكن من احتمال عذاب رؤيتها

له يومياً أثناء الأسابيع التالية دون أن تفضح مشاعرها أمامه؟ هذا ما كانت لا تعرفه.

سمع طرق خفيف على الباب لتظهر بعد ذلك ممرضة حاملة غداء توبي، لتلقي نظرة في اتجاه هانتر قبل أن تترك الغرفة وقد احمرت وجنتاها. وشعرت ستيفاني بسرور عميق بعد إذ أدركت أن الممرضة المعينة لتوبي هي امرأة متوسطة السن ونموذج لشكل الأم.

«الغداء؟» والتقطت أذناها آخر كلمة تفوه بها هانتر، فالتفتت بسرعة وقد توردت وجنتاها.

وعاد يقول: «قلت هل تحبين أن تأتي معي لتناول الغداء؟ إن توبي سيتناول طعامه ثم ينام بعد الظهر كما أرجو، وهكذا سنعود في المساء. إتفقنا؟»

ومد يده ينفش شعر الصبي الأشقر، فبادله هذا ابتسامته على الفور، وقد بدا النعاس في عينيه.

قال له هانتر: «أريد أن أري أختك المكان الذي ستقيم فيه أثناء الأيام القليلة القادمة.» وألقى على ستيفاني نظرة طويلة ساخرة وهو يتابع قائلاً: «بيتي الآخر.» وقال ذلك بطريقة عرفت منها أنه مازال يتذكر انزعاجها من أنه يمتلك منزلين، وسيارتين، شخصيته الحقيقية، وكيف يحصل معيشته.

قالت له محاولة ظهور البرودة في صوتها: «شكراً.» ولكنه عاد ينظر إليها بسخرية.

تناولا الغداء في مطعم صغير غاية في الأناقة، ويبعد عن المستشفى أمتاراً قليلة. ولكن ستيفاني وجدت صعوبة في ازدراد الطعام، رغم طيبته، وذلك للغصة التي كانت تشعر بها

في حلقها. لقد جلس يراقبها وهي تأكل وقد بان العنف في عينيه القاتمتين.

سألته حانقة: «لماذا فعلت ذلك؟»

أجاب: «لأنني أردت ذلك.» وكان صوته رقيقاً حافلاً بالحنان.

قالت بعنف وعيناها تقدحان شرراً: «هل هذا هو المدخل الوحيد للارتباط بين اثنين؟»

قال: «نعم، إذا شئت. أما الحب فهو أسطورة، يا ستيفاني... إنه كلام شعراء في مجتمع تملكه الزيف فلم يعد باستطاعته إدراك حاجاته الأساسية.»

اندفعت بكرسيها إلى الخلف وكأنها تحاول الهرب من صوته البارد ونظراته الساخرة، وهي تقول: «إن هذا مريع. لا يمكن أبداً أن تكون هذه هي مبادئك.»

لمع شيء في عينيه، ثم ابتسم ساخراً وقد ظهر في عينيه العنف، وهو يقول: «ولما لا؟»

قالت: «لأن...» وترددت، غير قادرة على التعبير عن الشعور الذي تملكها وهو يتحدث، ثم تابعت ببطء: «لأنك لست هكذا، يا هانتر. إنني لا أصدق ذلك. لقد رأيتك مع توبي، فأنا أعرف أن مشاعرك هي غير ما تريد من الآخرين أن يعتقدوه...»

قال: «هراء.» وتجمدت السخرية اللاذعة في صوته، فحدقت فيه وهو يشير إلى النادل يطلب القائمة.

هل من الممكن أن يكون من السطحية بالشكل الذي يصر عليه؟ وكيف بامكانها أن تحب شخصاً كهذا؟ إن هذا ليس بامكانها. لا بد أن هناك أشياء وأشياء ربما لن

تعرفها قط، جعلته ينطق بمثل هذه الكلمات ويحاول أن يعيش بمقتضاها. ولكنها ليست شخصية هانتر الحقيقية.

وأخذت تحدق فيه وهو يتحدث إلى النادل، وكانت السخرية تلوح في كل خط من خطوط وجهه الخشن الملامح، ولكنها لم تكن تملك من الخبرة ولا من الثقة بنفسها ما يدفعها إلى مناقشة رجل ينتمي إلى عالم كهذا، ربما باستطاعة امرأة هادئة محنكة من بيئته، أن تنفذ إلى قرارة نفسه، وتقتحم الحاجز الذي أقامه حول نفسه. أما هي... وانحدرت نظراتها إلى كوب القهوة الفارغ أمامها وقد صدمتها الحقيقة، لن يكون لديها أمل على الاطلاق.

الفصل السابع

كان يهمس لها قائلاً: «أتحبينني يا ستيفاني؟ قولي إنك تحبينني...»

قالت: «أرجوك...» لقد سمعت كلامه ولكنها لم تستطع الكلام، ومازال صوته يلح عليها بالجواب، وقد تملكه الآن الخشونة والبرود: «قولي انك تحبينني، يا ستيفاني. قولي ذلك.»

ولكنها لم تستطع. فقد كان هناك صوت في أعماقها يحذرها ويقول لها انها يجب أن لا تنهار وتضعف امامه، أن لا تخدع نفسها ومبادئها وقالت: «كلا.»

واستيقظت ستيفاني من هذا الحلم على صوتها يتردد في الظلام الذي يسود الغرفة، لتجد نفسها تجلس في سريرها وهي ترتجف. عليها أن تتمالك نفسها فهذه هي المرة الثالثة هذا الأسبوع، التي يقودها فيها عقلها الباطني إلى حلم خطر كهذا.

كان منزل هانتر اللندني مكوّناً من شقة واسعة في الدور الأول في أرقى أحياء العاصمة. وكان يمثل مسكناً مثالياً مستقراً لرجل اعزب. سجادات سميكة، إضاءة قوية، أزرار تحرك كل شيء من الستائر إلى الأسرة. وأصص الزهور تملأ الشرفة التي تمتد على طول الشقة والتي تشرف على الحدائق الأنيقة والنافورة الرائعة الجمال والتي تتوسط بحيرة صغيرة ممتلئة بالأسماك.

ولكنها كرهتها. إنها لم تكره الشقة بالضبط... فقد كانت هذه اكثر فخامة وروعة من أن تكون موضعاً للكراهية.. ولكنها كرهت الفكرة التي تمثلها حياته هنا.

كانت هذه هي ليلتها الرابعة هنا. وكانت أمضت الليالي السابقة في التقلب والأرق ثم الاستيقاظ فجراً لتتناول الإفطار، بوحشة تعيسة على الشرفة الرائعة الجمال المغمورة بشمس شهر أيار (مايو) الدافئة. ذلك أن هانتر كان أبلغها، بعد أن استقرت في الشقة، بصوت فاتر ووجه جامد الملامح، أبلغها أنه حجز غرفة في النادي الذي ينتمي إليه وذلك أثناء الوقت الذي ستقضيه هنا وذلك لتطمئن إلى انفرادها.

سألته ببراءة، عن السبب في ذلك قائلة: «ولكن لي غرفتي الخاصة وحمامي.» قالت ذلك بهدوء، مشيرة إلى غرفة الضيوف الجميلة والتي هي الغرفة الثانية من هذه الشقة المؤلفة من غرفتي نوم فقط، ثم تابعت تقول: «ليس هنالك حاجة تجعلك تترك بيتك.»

«بل من المهم جداً، ان يبيت كل واحد منا في مكان مختلف وبعيد عن الآخر.»

لقد فهمت عندذاك، فسكتت عن الكلام، بينما تورد وجهها.

وقد أصبح الأمر الآن اكثر سوءاً، إذ أنها كانت كلما ازدادت معرفة به أثناء الأيام الأربعة الأخيرة، ازدادت نظراته السريعة لها كثرة وإزعاجاً. كانا يتناولان العشاء معاً كل ليلة، ودوماً بين حشود من الناس، وفي الليلة الثانية أخذ يحدثها قليلاً عن حياته

الماضية. فقد كان طفلاً وحيداً لوالدين ثريين غير صغيري السن. وقد أمضى فترة صباه وحداثته بيسر ودون مشكلات. ولكنها عندما سألته عن حياته الجامعية وكلية الطب، تملك الجمود ملامحه الخشنة وداخل الحذر صوته. لقد توفي والداه وما يزال في العشرينات من عمره، كما قال لها، وهذا يعني أنه جرب شيئاً من طريقة حياتها. لقد حدقت فيه، عندذاك، تفتش عن شيء في عينيه تلك، رغم أنها لم تكن تفهم ما هو. ولكن نظراته الباردة هزمتها، ولم تسمح لها برؤية شيء من قرارة نفسه.

والليلة الماضية؟ وعادت بأفكارها إلى عشائهما في ذلك المطعم الرائع الذي يشرف على نهر التايمز، عندما نظر إليها وقد كسا وجهه تعبير غريب، ليقول بهدوء، وهو زائغ العينين: «لقد فقدت مريضاً اليوم، يا ستيفاني. تحدثي إليّ. تحدثي في أي موضوع... عن أي شيء. فقط تحدثي.» وكانت عيناه ساهمتين وهو يقول ذلك...

وتكلمت هي، ومازحته، لتثبت انتصارها، بعد ذلك بقليل، عندما فارق الاضطراب ملامحه، وأصبح بإمكانه الهدوء. لقد تركت هذه الحادثة أثراً عميقاً في نفسها، ما جعل قلبها يفيض حناناً. لقد كانت تظن أنه قد أصبحت لديه حصانة ضد الأحزان التي يستدعيها عمله. حتى ولو من ناحية فلسفية، ولكن عندما تحدث عن أسرة مريضه، وحزنهم الساحق، لمست منه اهتماماً كبيراً بمشاعر الآخرين.

وبعد أن انتهت من تجفيف شعرها في غرفة النوم، ألقت نظرة على ساعتها، وكانت الخامسة، ان هانتر سيأتي لأخذها في الثامنة. وكان هذا وقتاً كافياً تتمالك فيه نفسها وأشتات ذهنها قبل حضوره. وكانت نتائج فحوصات توبي كلها تدعو إلى الرضى. ولكن هانتر أبلغها أنه لا يستطيع تقرير إجراء عملية له قبل أن تجتمع لديه كل البيانات المتعلقة بمرضه والتي ستكون متوفرة في نهاية الأسبوع. واليوم هو الأربعاء. وصنعت لنفسها فنجاناً من القهوة، ثم أخذت تتمشى في الشرفة. ولكن هواء الصباح كان مايزال بارداً يشوبه ضباب الفجر، ما جعلها تعود إلى الداخل.

وتصاعد رنين الهاتف الساعة السادسة، فأدركت على الفور، حتى قبل أن ترفع السماعة إلى أذنها، أن ثمة خبراً بالغ السوء.

كان المتكلم هو هانتر وكان صوته عملياً بحتاً. كان هادئاً ليناً يبعث على الارتياح وهو يقول: «ستيفاني؟ هل كنت مستيقظة؟»

سألته: «ماذا حدث؟»

أجاب: «ستكون هناك سيارة أمام الباب بعد دقائق. كنت أود لو جئت بنفسي ولكنني أستعد لدخول غرفة العمليات. لقد اصيب توبي بنوبة سيئة أثناء الليل، ولا بد من إجراء العملية هذا الصباح. فإذا امكنك الحضور على الفور، فقد تستطيعين رؤيته عدة دقائق قبل أن يدخل غرفة العمليات. اتفقنا؟»

تهالكت على الكرسي شاعرة بالدوار وهي تقول: «إنني مستعدة الآن.»

قال: «انك بنت طيبة.» وتردد برهة، ثم عاد يقول بسرعة: «ولا تقلقي يا ستيفاني. ان العملية ستنجح إن شاء الله.»

قالت بهدوء: «إنني أعرف انك ستبذل كل ما بوسعك، ولكنني لا انتظر منك وعوداً.»

قال: «لا أراك تعنين ذلك حقاً.» وكان في صوته شيء أثار انتباهها رغم ألمها واهتمامها بتوبي. فأجابته قائلة: «بل أعني ذلك.» وساد صمت عميق لعدة لحظات عادت بعدها تقول: «إنني أثق بك تماماً بالنسبة إليه. القرار النهائي ليس بين يديك بل بين يدي القدر. ولا تنس أنك لم تجد الوقت لكي تنهي كل الفحوصات قبل العملية، أليس كذلك؟»

أجاب بصوت غريب أجش: «لا بد أن السيارة وصلت الآن. هيا... ارتدي معطفك وتعالي.»

وعندما وصلت إلى المستشفى، كان تأثير الصدمة والمفاجأة قد زال تاركاً مكانه لألم أخذ يعتصر قلبها. توبي، آه، توبي! كانت تشعر بحاجة ملحة لأن ترى وجهه ما جعلها عمياء وصماء عن أي شيء آخر. وعندما دخلت غرفته كانت خائفة لما كانت تتوقع أن تراه. ولكنه كان مستلقياً مغمض العينين وقد ألبس قميصاً طويلاً أبيض، بينما وضع بجانبه آلة تسجيل نبضات القلب وهي تئز بخفة. وعندما مشت بجانب عربته نحو غرفة العمليات، فتح عينيه، ولكنه لم يستطع سوى

أن يمنحها ابتسامة خفيفة لتعود عيناه إلى الاغماض مرة أخرى.

أقبل هانتر نحوها خارجاً من غرفة صغيرة جانبية وهو يقول: «حاولي أن تحتفظي بهدوئك.» وكان يبدو غريباً في ثيابه البيضاء والكمامة على وجهه. وكانت عيناه تبدوان قاتمتين بالنسبة للون الأبيض حولهما. وكان هو يتابع قائلاً: «ستطول العملية، فلا تقلقي.»

وعندما استدار، قالت له: «هانتر... أشكرك.»

قال مقطباً جبينه: «لا تشكريني. فأنا لا أدري بعد إن كان بإمكاني إنقاذه.»

أجابت ببساطة: «اشكرك لمحاولتك ذلك.» فوقف فجأة وهو يشير إلى غرفة انتظار صغيرة كان عليها أن تبقى فيها طوال مدة إجراء العملية، بينما وقفت ممرضة تنظر ناحيتهما باهتمام، ثم قال لها: «ستيفاني. ان هذه العملية بشكل خاص، تعني لي الكثير.. ان لي شعوراً خاصاً تجاهها.»

حدقت فيه وهو يزيح الكمامة عن فمه بضيق، وهي تسأله: «ماذا تعني؟»

أجاب: «هل لك أن تكلفي باجرائها شخصاً آخر؟ يمكنني أن احضر لك جراحاً ممتازاً في غضون دقيقة واحدة.»

قالت: «كلا.» وأدركا، هما الاثنان، لهجة الذعر في صوتها، فبدت في عينيه الرقة على الفور وهو يقول: «انني آسف، يا ستيفاني، كان عليّ ان اطمئنك بدلاً...»

قاطعته قائلة: «ماذا تعني بقولك (إنّ لي شعوراً خاصاً تجاهها) هل هذا يشكل أي فرق؟»

أجاب وهو يستدير متابعاً سيره: «كلا، طبعاً. لا تقلقي، انها حالة الأعصاب، عادة، قبل إجراء أية عملية، وهي تحدث دائماً.»

عادت تسأله: «ماذا كنت تعني؟»

بدا الجمود في عينيه وهو يقول: «علي أن أذهب لأغسل يدي.»

وهتفت به: «هانتر؟» وجعله صوتها يتوقف عند الباب. فتابعت تقول: «لقد حدث هذا من قبل، أليس كذلك؟ هل كان ذلك مع طفل؟»

استدار ينظر إليها بوجه جامد وهو يقول: «لا أدري ماذا تعنين.»

قالت: «بل أنت تدري. يمكنني رؤية ذلك في عينيك.»

قال بغلظة: «ما اكثر الأشياء التي ترينها.» ثم استدار بحدة وخرج من الغرفة.

بدا وكأن الساعات القليلة التالية قد استطالت وامتدت إلى ما لا نهاية. ولكنها في الحقيقة، لم تكن تزيد عن خمس ساعات كما اخبرتها ساعة الحائط. وكان الوقت ظهراً عندما اقبل هانتر إلى الغرفة حيث كانت تنتظر... وشبكت يديها بشدة، واتسعت عيناها وهي تنظر إلى وجهه المرهق المغبر لحظة طويلة قالت بعدها بصوت خافت مرتجف: «هل... هل...»

قاطعها بلهجة آلية وقد أبرز الإرهاق خطوط وجهه: «إنه

بأتم خير. وسيكون بإمكانه أن يخبر اصدقاءه في المدرسة بأن قلبه من حديد.»

كان يحاول أن يوضح لها الأمر، أن يحدثها عن الوضع، ولكنها حملقت فيه لحظة قبل أن تنفجر في بكاء عنيف أدهشهما معاً.

قال لها بلطف: «لا بأس. كل شيء سيكون على ما يرام.» ولمدة دقيقة واحدة، شعرت فعلاً أن كل شيء على ما يرام.

«لا يوجد سبب يمنع توبي من أن يعيش حياة طبيعية.» وكان وجهه مشرقاً وهو يتحدث وينظر إلى وجهها المبلل دون أن ينفع ذلك في إيقاف دموعها المنهمرة، فيتابع قائلاً: «ويكبر ليصبح رجلاً عاملاً نشطاً، لا أحد منا يدري، ربما وصل إلى عمر قد يكون أطول من أعمارنا نحن.»

فأومأت برأسها صامتة.

وعاد يقول: «إنه بحاجة إلى العناية في الأسابيع القليلة القادمة طبعاً، ثم أثناء مدة إعادة فحصه للإطمئنان إلى أن كل شيء على مايرام. إن صحته العامة قوية يا ستيفاني. ثقي بما أقول.»

قالت: «شكراً. ما كان لأحد غيرك أن يتمكن من إجراء هذه العملية.»

قال: «حسناً، هذا شيء لن نعرفه أبداً، أليس كذلك؟»

أجابت ببطء: «بل أنا أعرف إنني لم أصدق نصف القصص التي كنت أسمعها عنك في الجامعة، إنما الآن...»

قال بلهجة أصبحت فجأة خشنة عنيفة: «لا تجعليني مثالياً، يا ستيفاني. إنك لا تعرفين كل شيء عني.»

قالت بحزم: «إن ما أعرفه يكفي. لقد كنت أكثر لطفاً من كل من أعرف، نحوي ونحو توبي...»

قال: «إن لديّ المال والوسيلة.» وأدركت هي، بارتباك، أنه غاضب. ما الذي اغضبه منها يا ترى؟ وكان يتابع قائلاً: «وأي شخص آخر كان سيقوم بما قمت أنا به.»

قالت: «لا أظن ذلك.»

فقال: «حسناً، لا تظني إذن. عودي فقط إلى صديقك الشاب النظيف و...» كان في صوته شيء جعل وجنتيها تحترقان.

قالت وهي تتنفس بعنف: «لا تتكلم بهذا الشكل. لماذا لا يمكنني أن اشكرك لما فعلته لأجلنا؟»

قال: «ولكنك فعلت.» ثم نهض فجأة تاركاً المكان دون أن ينطق بكلمة أخرى.

ماذا كان السبب في كل هذا؟ وأخذت تفكر في ذلك وهي تعود فتجلس على كرسي وقد انتابها الدوار. ثم ما الذي عليها أن تفعل الآن؟ أن تنتظر هنا؟ أن تحاول العثور على أي شخص؟ وفي اللحظة التالية جاء المخرج لحيرتها هذه عندما دخلت الغرفة ممرضة شابة وهي تبتسم قائلة: «الآنسة موراي؟ أظن أن الدكتور رايان قد أخبرك أن عملية أخيك قد نجحت تماماً. إنه جراح رائع. أليس كذلك.»

أجابت ستيفاني بضعف: «نعم. إنه رائع.»

قالت الممرضة: «إذا شئت أن تتبعيني، فسأصعد بك إلى مكتب الدكتور رايان، فقد طلب قهوة وسندويش لك، ويقول إنك بعد انتهائك من تناول ذلك، يمكنك أن تعودي إلى بيتك لترتاحي. ليس بإمكانك أن تري توبي قبل حلول الليل.»

قالت ستيفاني بسرعة: «شكراً. ولكنني سأترك السندويش فإنني أريد أن أتمشى قليلاً، وقد أذهب لتناول الغداء في مكان ما قبل أن أعود إلى الشقة. وسأتصل في ما بعد للإطمئنان على أخي.»

فأومأت الفتاة برأسها قائلة: «هذا حسن. إن التخلص مما يثقل عليك سيفيدك.»

وأخذت منها عودتها إلى الشقة اكثر من ساعة، ولكنها كانت بحاجة إلى وقت تفكر فيه. أن تكون بمفردها دون أن يقاطعها أحد. كان نهاراً رائعاً يغمره الشمس والدفء، كما كانت السماء صافية زرقاء. وعندما أخذت تسير في شوارع لندن المزدحمة، شكرت حظها لوجودها في هذه المدينة الواسعة حيث كل شخص مشغول بأموره الخاصة.

لماذا وقعت في غرامه؟ وحاولت أن تجد سبباً قوياً لذلك، فلم تجد. أترى ابتدأ ذلك نتيجة لطفه وكرمه بالنسبة إلى سيارتها حين أبلغه الدكتور ميتشيل عن ظروفها؟ أم بسبب رقته نحو توبي وعنايته بهما هما الاثنين؟

وحين شعرت بالجوع، وقفت أمام بائع سندويتشات

حيث ابتاعت سندويش من اللحم والبصل المقلي، ثم عادت تتمشى وهي تأكل الطعام.

لكنها ما لبثت أن أدركت. انها لن تستسلم لواقع أنه لن يكون لهما أمل... كلا. قد يكون هو رجلاً ذا نفوذ وذا افكار غير عادية، ولكنها سبق ورأت لمحات من هانتر الحقيقي، الرجل خلف القناع. لقد أحست بلحظات ضعف فيه كان يخفيها بمهارة، ولكن ماذا بإمكانها أن تصنع، وكيف تبقى في محيط حياته بعد أن يشفى توبي؟ فهي بحاجة إلى أن تبقى بقربه. أن تحطم تلك السخرية والشكوك التي كانت كالحجر تمنع أي شعور رقيق من التسلل إلى نفسه.

وعندما أصبحت داخل الشقة، استمرت أفكارها في التوافد. ذلك أن الإرهاق، وارتياحها البالغ من جهة توبي، أحدث ردة فعل أخذت تبتكر أفكاراً واحداً بعد الآخر. إن تلاشي كل مخاوفها، ومعرفتها بأن أخاها سيشفى، كل ذلك بعث في نفسها من القوة.

ثم تصاعد رنين الهاتف، وكان المتكلم هو الدكتور ميتشيل: «ستيفاني؟ لقد اتصلت بالهاتف وتحدثت مع هانتر فقال انني قد أجدك هنا. إنني مسرور جداً. فهذا الرجل بارع، أليس كذلك؟»

أجابت: «نعم. إنه بارع.» ربما كان شيء في صوتها، أو في الكلمات التي نطقت بها ما جعلها تشعر بالصمت الذي تبع كلامها، في الطرف الآخر للخط. ثم تكلم الدكتور ميتشيل مرة أخرى، وفي صوته شيء من التردد وهو يقول: «لا اظن أن هناك شيئاً بينكما، أليس كذلك

يا ستيفاني؟ لقد علمت أنك تقيمين في الشقة بمفردك. وأنا، بصفتي صديقاً قديماً لوالدك، اشعر بمسؤولية نحوك...»

قالت بسرعة: «لا بأس. ليس هناك شيء من هذا النوع. لقد كان الأمر مجرد شهامة ونبلاً منه، وهذا كل شيء.»

قال: «هذا حسن.» وتبع ذلك فترة صمت أخرى ثم عاد فقال: «لأن الأمر سيكون سيء العاقبة. هل فهمت؟»

أجابت: «كلا. في الحقيقة أنا لم أفهم.» كانت هذه فرصة يمكنها فيها أن تعرف المزيد عن هانتر، فإذا هي لم تنتهزها فلن تعرف ذلك أبداً. وعادت تقول: «إنني أعلم أنه لا يثق بأحد. وهذا كل شيء.» وحاولت أن تطلق ضحكة مرحة ولكنها لم تستطع، وتابعت تقول: «إنه رجل محير جداً.»

قال الدكتور ميتشيل ببطء: «إنه رجل مر جداً. وهو رجل، يا ستيفاني، رجل أكثر حنكة منك.» وبدا عليه التردد، ثم عاد يقول بسرعة وكأنه لا يريد ان يغير عقله: «لو كنت مكانك لما تماديت معه، يا ستيفاني. إن هانتر صديق قديم لي، وهو أفضل اصدقائي، ولكنني لا احب أن أرى امرأة اعرفها تثق به، وعلى الأخص أنت.»

سألته رغم احساسها بالسوء: «ولماذا؟»

أجاب: «لأنه اعزب ثابت على مبدئه، يا عزيزتي. فقد كانت له تجارب في حداثته...» وسكت برهة، ثم تابع يقول بهدوء: «لقد تزوج عندما كان مايزال في الجامعة، إحدى زميلاته في الدراسة، وقد حملت الفتاة

منه. ولا أظن أن أياً منهما كان وصل إلى العشرين، ولكن هذا ما يحدث أحياناً. ولكنها لم تحتمل الحمل بسبب مرض في قلبها. وهكذا ماتت مع طفلها على منضدة العمليات.»

كانت ستيفاني تستمع باهتمام، ولكن أحاسيسها كانت متبلدة تماماً.

وتابع الدكتور ميتشيل حديثه: «لقد غضب هانتر، حينذاك، وكان غضبه بالغاً. وأظن أن هذا هو السبب في أن العالم ربح جراح قلب ليس له مثيل. ولكن في هذه الأثناء، كان هانتر قد خسر شيئاً. لقد مات شيء ما في اعماقه. وكانت كل مواجهاته مع عالم الطب، بعد تخرجه، إنما كانت بسبب ما حدث له، في رأيي، فهو كان يحطم الحدود. وكما تعرفين، فالرجل أصبح أسطورة في عالم الطب.»

فقالت: «نعم، أشكرك يا دكتور ميتشيل.» كان صوتها مرتفعاً عن المعتاد.

فقال الدكتور ميتشيل بجفاء: «وهذا ما جعله ساخراً جداً، يا ستيفاني. ساخراً جداً في الحقيقة. هذا يكفي الآن من هذه الناحية. والآن، اطلعيني على التفاصيل بالنسبة للصبي.» وكان يحاول ان يلطف الجو الخانق، وابتدأت هي تطلعه على كل ما تعرفه عن توبي، إلى أن انتهى الحديث. عند ذلك توجهت إلى قاعة الجلوس حيث جلست في مقعد جلدي وثير وهي تنظر في الفراغ بعينين لا تريان محاولة أن تستوعب ما سمعته. لقد تلاشت احلامها بالنسبة إلى المستقبل، وقد حان الوقت لتواجه الحقائق.

وتملكتها الدهشة وهي ترى خطواتها غير ثابتة أثناء صعودها إلى غرفة نومها. كانت بحاجة إلى النوم. إنها لم تشعر بمثل هذا الارهاق النفسي والعقلي في حياتها قط من قبل. حتى البكاء كان يكلفها جهداً بالغاً.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

«أين كنت؟»

وقفزت ستيفاني وقد انتابها الذعر إلى درجة أمسكت بالمنبه الصغير الموجود على جانب سريرها ترشقه ليتحطم على الجدار أمامها.

«لقد قلت أين كنت؟»

كان هانتر واقفاً على عتبة الباب المفتوح زائغ العينين بينما وجهه مدلهم كالعاصفة، وهو يتابع قائلاً: «لقد كنت أتصل هاتفياً كل نصف ساعة منذ الساعة الثالثة. ما هي ألاعيبك؟»

«ماذا تقول؟» ورفعت يداً مرتجفة إلى رأسها، وأجفلت حين زادت حركتها هذه من الصداع الذي أخذ يضرب بعنف خلف عينيها حالما انتبهت واعية.

وحدق هو فيها ثائراً وهو يسألها قائلاً: «هل كنت معه في الخارج؟ إذا كان الأمر كذلك، فسألقنه درساً لن ينساه أبداً. لقد استرد توبي وعيه منذ ثلاث ساعات، وكان عليك أن تكوني هناك.»

فقالت: «ما هو الوقت الآن؟» وحاولت أن تركز أفكارها وتتكلم بوضوح.

فقال: «إنها الثامنة. وأنا ما زلت منتظراً الجواب.»

فأجابت: «لقد كنت هنا.» وتراجعت إلى الخلف وقد انقشعت الحقيقة أمام عينيها من خلال الضباب، فتابعت

تقول: «إنني آسفة. لا بد أنني استغرقت في النوم.»

فقال غير مصدق: «إنك لا تتوقعين مني أن أصدق ذلك. لقد كان كريغ في المستشفى بعد الظهر يسأل عنك، إلى أين ذهبتما؟»

أجابت: «انني لم اذهب إلى اي مكان. لقد قلت لك انني كنت هنا.»

فقال بغضب: «لقد بقي الهاتف يرن ويرن. وحسب علمي ليس لديك نقص في السمع.»

فقالت: «لقد كنت نائمة.» وفجأة، ثار ثائرها فصاحت به: «لو لم أكن نائمة لأخبرتك، فليس لديّ سبب يجعلني أكذب. وليس عليّ أن أعلمك بمن أرى أو متى.»

فقال بقوة: «هذا غير صحيح، ما دمت سنداً لمريضي فكل ما تقومين به يهمني. فأنا لا أريده أن يقلق أو يستاء لغيابك عندما يكون بحاجة إليك. هل ترينني أوضحت لك الأمر؟»

أجابت: «تماماً.» ونظرت إليه ثائرة وقد تلاشى تشوّش ذهنها، وهي تقول: «إذن، فليس لي أن آكل أو أنام؟ أليس هذا ما كنت تقول؟»

قال: «لا تظني أنني أحمق، يا ستيفاني.» وتوهج وجهها الشاحب غضباً للهجته اللاذعة وهو يقول: «إنك لم تكوني هنا بعد الظهر لأنك كنت تتسكعين في مكان ما مع صديقك. فكوني شجاعة واعترفي بذلك.»

قالت: «كيف تجرؤ على...»

قاطعها بعنف: «ولا تحاولي كذلك أن تتظاهري بأن كرامتك جرحت. لقد جاء كريغ هاموند كل هذا الطريق إلى

هنا لكي يراك. هل تتوقعين مني حقاً أن أصدق أنك لم تشاهديه؟»

قالت بصوت مضطرب: «حتى انني لم أتحدث إليه. إنني لم أعلم أنه كان في لندن.»

قال: «إنني لا أصدقك.» وما أن استدار ليخرج من الغرفة، حتى اندفعت تقول بعنف: «هكذا إذن؟ أتقول إنك لا تصدقني، ثم تسير هكذا بكل بساطة؟»

قال ببرود: «إن هذا منزلي يا ستيفاني. وأنا أفعل فيه ما أشاء.»

قالت: «آه، بالطبع هانتر رايان الجراح البارع.» وكان الألم والمرارة قد جعلا صوتها يرتفع، ولكنها لم تهتم لذلك وهي تتابع: «القانون في ذاته. إنني آسفة، لقد نسيت ذلك لحظة.»

قال: «هذا ما دمت لا تتمرنين على ذلك.» وكانت سخريته الباردة أكثر مما تستطيع أن تحتمل. وما أن اندفعت يدها بصفعة مدوّية على وجهه حتى تملكهما الذهول هما الاثنين.

تراجعت مبتعدة عنه، وقد انتابها الذعر لما فعلت بينما كان هو يشتم بصوت منخفض دون أن يحوّل نظراته عنها، وقد بان الإجرام في عينيه.

وتوقف ذهنها عن التفكير، كما توقفت أحاسيسها عن الشعور في ما عدا ما هي فيه هذه اللحظة.

قال لها بصوت مقنع: «قولي... قولي إنك تشعرين بما أشعر، يا ستيفاني...»

وكان جوابها، حين نطقت به، يناقض كل ما سبق

وعاهدت نفسها عليه. كان خارجاً من قلبها وليس من عقلها وهي تقول: «إنني... إنك لا تدري كم أحبك...»

وجمد هو في مكانه لحظة، ثم إذا بها ترى استنكاراً يغلفه العذاب في عينيه، وهمس قائلاً: «كلا، إنك لا تدرين ما تقولين.»

ولكن، لقد فات أوان الإدعاء، ولم يبق أمامها سوى قول الحقيقة، فردت عليه قائلة: «بل أنا أدري، إنني أحبك.»

فقال: «كلا.» وكان صوته في هذه المرة متوحشاً كاد يحملها على الانكماش والتراجع، وهو يتابع: «انك تخطئين تفسير الانجذاب بشيء آخر. إنه توهم المريضة نحو طبيبها... ومع كل ما سبق وحدث.»

قاطعته قائلة محاولة تمالك أعصابها ومقاومة الهلع الذي انتابها وهي ترى سحنته. ما كان لها أن تخبره، فقد كانت تعلم... كانت تعلم ردة فعله. ولكن أسوأ مخاوفها لم تكن لتماثل الواقع الذي بدا لها هذا: «ولكنك لست طبيبي.»

قال: «ولكنك ممتنة لي.» وكان يتكلم بسرعة، بسرعة فائقة. عليها أن تقول شيئاً أن تقوم بشيء ينقذ ما بقي لديها من كرامة، ولكن كل ما استطاعت عمله هو أن تنظر إليه وتسمعه إذ يتابع قائلاً: «والامتنان هو شعور خطأ يجب أن لا أستغله أبداً. كنت أظن كريغ...»

قاطعته قائلة وقد وبان الحزم في ملامحها: «إنني لست طفلة. وأنا أعرف أنك لا تبادلني نفس الشعور...»

قاطعها بصوت خشن غاضب: «أبادلك نفس الشعور؟ إنك

أصغر سناً من أن تدركي كنه مشاعرك، وحيث أنني رجل أكبر سناً وخبرة، ثم حقيقة أنني نجحت في إجراء عملية توبي...»

صرخت فيه فجأة: «كفى. كفى يا هانتر. لقد كنت ما تزال في العشرين من عمرك عندما تزوجت...»

وأخرستها النظرة الخطرة التي تجلّت في عينيه وهو يسمع كلامها فقطعت جملتها في منتصفها، واتسعت عيناها وهي ترى ملامحه تشتعل غضباً. ونسيت كل شيء وهي ترى غضبه الأسود يحيل عينيه إلى بحيرتين من الدم.

قال بثقة تغطي غضبه الوحشي: «نعم، لقد تزوجت وأنا فتى. ولكنك أخطأت في شيء واحد. فقد كنت أنا في التاسعة عشرة وليس في العشرين. ففي العشرين كنت أرمل، دافناً زوجتي وطفلي. والشيء المخيف هو أنه بعد مرور خمس سنوات على موتهما، كان الطب قد تقدم تقنياً إلى درجة أصبحت معها تلك العملية التي أجريت لها أصبحت معقولة تماماً إن لم تكن عادية. لقد كانت تلك العملية بحاجة فقط إلى رجل ينسى عدم ثقته، ويمدّ يديه.»

إنه ما زال يحبها... انه بعد تسعة عشر عاماً، ما زال يحبها.

«ستيفاني... هل تريدين رؤية توبي هذه الليلة؟»

«توبي؟» وبدا لها لحظة، هذا الاسم غريباً عليها ولكنها ما لبثت أن أسرعت تقول: «نعم... نعم، طبعاً. ولكن...»

فقال: «استعدي إذن، وسأنتظرك في السيارة.»

كانت رحلتهما إلى المستشفى عبارة عن كابوس ولكنها احتملت ذلك. كما احتملت كذلك الساعة الحلوة المرة التي أمضتها مع توبي الذي كان عبارة عن مجموعة من الأنابيب والأسلاك، ثم العودة مع هانتر الذي كان ببرودة لوح من الثلج.

وأتى اليوم التالي بالرغم من ألمها المدمّر وحزنها، وتلاه الذي بعده والذي بعده...

وبعد اسبوعين كانت صحة توبي تسمح له بالخروج من المستشفى إلى بيته، وبعد ستة أسابيع كان قد عاد إلى المدرسة كما عادت هي للعمل في العيادة كما كانت الحياة طبيعية.

وكانت مراجعة توبي المستشفى بعد ثلاثة أشهر للفحص، بمثابة امتحان لقدرة مشاعرها على التحمل، امتحان لم تكن تتمناه لعدوّها. فقد بدا هانتر صارماً نائياً عنها بمشاعره، لقد بدا ذلك المستشار البارد العمليّ، ببذلته البالغة الأناقة... حتى توبي نفسه بدا حائراً مكتئباً إزاءه.

وما أن وصلت إلى الباب لتخرج، وقد رفعت رأسها عالياً وضغطت على أسنانها، حتى ناداها هانتر قائلاً: «ستيفاني؟»

فاستدارت تجيب: «نعم.» ونظرت إلى وجهه، ذلك الوجه الذي ستحبه دوماً... وستكرهه دوماً... ثم استطاعت أن تبتسم ببرود.

قال بجفاء: «إن صحتك ضعيفة. عليك أن تزيدي من طعامك.»

قالت: «أزيد من طعامي؟» ومنعتها الدهشة من النطق بأكثر من ذلك.

سألها بجمود: «كيف حال كريغ؟ هل اجتمع شملكما الآن؟» وتحرك قليلاً في مقعده وقد أظلم وجهه.

أجابت باكتئاب: «نعم، إذا كان هذا ما تريد أن تسمعه.» لم يكن بينها وبين كريغ شيء أبداً، ولكن إذا كان هذا يريحه من الشعور بالمسؤولية فليكن إذن ما يريد.

قال: «فهمت.» وساورتها مرة أخرى رغبة جارفة في ضربه. ولكنها قد اعتادت ضبط شعورها أثناء الثلاثة أشهر الأخيرة، وهكذا أومأت برأسها بخفة قبل أن تستدير تاركة الغرفة بقلب ينزف وكرامة لم تمس.

جاءت الدعوة على يد الدكتور ميتشيل بعد ذلك بأسابيع. وكان شهر آب (اغسطس) حاراً ويبدو أن أيلول (سبتمبر) سيكون أشد حرارة. وكانت قد استغلت بعض الوقت في الجلوس تحت اشعة الشمس لأول مرة منذ سنوات، فكانت ترتاح أثناء عطلات آخر الاسبوع ساعات طويلة متكاسلة بحالة حلم خدر. فقد وجدت أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها أن تتناسى فكرة أن هانتر قد رحل من حياتها. ولكنها كانت في طريق التحسن، كما حدثت نفسها ذات صباح أثناء ذهابها إلى عملها. لقد مضى اسبوع على الأقل منذ بكت في الليل لآخر مرة. وكان هذا تحسناً أكيداً. كما أن صحة توبي كانت ممتازة، ولاحت على شفتيها شبه ابتسامة وهي تفكر في أخيها الذي استحال الآن إلى كتلة من الحيوية والنشاط وإلى رغبة في تمضية الحياة ما كان ليكبتها.

«ستيفاني؟» وكان دكتور ميتشيل في مكتبه وهي تلبي نداءه داخلة إليه وفي يدها كوب قهوته الصباحي.

قال: «لقد تلقينا جميعاً دعوة.»

قالت: «تلقينا؟» واختلست من فوق كتفه نظرة إلى البطاقة التي بيده، ثم تمنت لو لم تفعل بعد أن شعرت بقلبها يتلوى ألماً، وسألته: «من هانتر رايان؟»

أجاب بدهشة وهو يقرأ الرسالة المرفقة بالبطاقة المذهبة: «إنه يقول بأنه سيترك انكلترا لمدة غير معلومة، فقد سبق وعرض عليه مركزاً مرموقاً في أميركا. وكانوا يلاحقونه لذلك منذ سنوات. وهو سيقيم في منزله هنا حفلة وداع الأسبوع القادم ونحن جميعنا مدعوون بما فينا شيلي وزوجها.»

قالت: «هذا حسن.» وحيّرها هدوء صوتها وهي تتابع قائلة: «ما هو التاريخ؟ آه، وأسفاه! إن لديّ موعداً تلك الليلة.»

فاستدار الدكتور ميتشيل ينظر في وجهها قائلاً: «ستيفاني... فكري جيداً قبل أن ترفضي الدعوة. إنني لست أعمى رغم كبري في السن. فقد رأيتك أثناء الأسابيع الأخيرة وتألمت لرؤيتك غير سعيدة. إنني لا أعلم ماذا حدث بينكما، أنتما الاثنين، ولا أريد أن أعلم. ولكن هناك شيئاً واحداً أعلمه، وهو أنك بحاجة إلى أن تودعيه بشكل مناسب، دون عداوة أو مشاعر سيئة ستندمين عليها في السنوات المقبلة، ذلك أنه قد ساعد في إنقاذ حياة توبي... إياك أن تنسي هذا، وذلك بعد ان لم يجرؤ جراح آخر على إجراء العملية التي أجراها هو على

مريض مثله. لقد قرأت أنا التقارير كلها عندما كان طبيبه وهانتر يتداولان في شأنه.»

هزت رأسها بضعف، قائلة: «إنني أعلم ذلك. إنني أدرك تماما ما قام به لأجل توبي.»

فقال الدكتور ميتشيل بهدوء: «فامنحيه إذن فرصة يسافر بها إلى أميركا مصحوبا بتمنياتك له بالتوفيق. إنه سيبقى كما هو ولن تستطيعي تغييره يا ستيفاني، وأنت شابة وستقابلين...»

فقاطعته: «لا تقل إنني سأقابل شخصاً آخر.» وأدهشتهما، هما الإثنان الحدة التي ظهرت في صوتها، وعلى الفور بدت على وجهها علائم الاعتذار وهي تقول: «إنني آسفة. لم أكن أعني أن أتكلم بهذه اللهجة... ولكن هذا لن يحدث. وهذا غير مهم على كل حال...» ولوحت بيدها متعبة وهي تقول: «لقد مرّ كل شيء الآن وانتهى.»

عاد يسألها: «إنك إذن ستحضرين الحفلة؟ إنني سأكون مع زوجتي روز هناك، وكذلك شيلي وتوم. ولما كانت الدعوة تقول بصحبة مرافق فأنت لست بحاجة إلى الذهاب بمفردك، ماذا بشأن ذلك المعلم الشاب الظريف الذي كان مهتماً بتوبي؟»

ولكن الأفكار كانت تأخذ ستيفاني كل مأخذ. إنه إذن مسافر إلى أميركا. وكانت هذه الجملة التي تدور في رأسها. إنها لم تدرك حتى هذه اللحظة أن الأمل ما زال كامناً سراً في أعمق أعماقها لم يمت بعد. فإن حبها له بهذا المقدار جعلها تأمل في أنها، يوماً ما، ستراه مرة أخرى

وكل شيء بعد ذلك سيصلح. إنها حمقاء. وكانت واعية إلى نفسها وهي تحدث الدكتور ميتشيل، فتعده بأن تقبل الدعوة، بينما عقلها في وادٍ آخر. لقد انتهى الأمر... انتهى حقاً، ودون أن يبدأ قط.

وكانت شيلي تثرثر عن توقعاتها للحفلة، عندما انصرف ذهنها على الفور إلى خزانة ثيابها وهي تفكر في أن ليس لديها ما تلبس للحفلة هذه. ثم استدارت تسألها باهتمام متجاهلة أعمال نهار الجمعة المتراكمة على المكتب أمامهما، سألتها قائلة: «أترينه سيبيع المنزل القرميد؟»

أجابت ستيفاني وهي تشير إلى المرضى الذين كانوا يحدقون النظر فيهما بغيظ: «ليس لديّ فكرة.» وعندما انصرفت صديقتها إلى دفتر المواعيد ابتدأت هي تفرز الملفات الطبية لأوائل المرضى، ولكن ذهنها ما زال يفكر في ما قالته شيلي. هل تراه سيبيع منزل القرميد؟ وعاد بها التفكير إلى ذلك البيت الرائع الفيكتوري الطراز. الأراضي الفسيحة والبراري حوله، والحدائق الرائعة الجمال، بل والبيت نفسه الذي كان يمثل انكلترا في أصدق مظاهرها. وزاولها شعور حاد بالخسارة. ولكن هذا لم يكن ليعنيها بشيء. وهزت رأسها بعنف. حتى هو نفسه لم يكن ليعني لها شيئاً.

وفي يوم الجمعة التالية كانت ستيفاني غاية في الاضطراب. فهي بعد أن سمحت للدكتور ميتشيل بقبول الدعوة باسمهم جميعاً، عادت فندمت على الفور... وأخذت تحدث نفسها مرة بعد مرة، بأن عملها هذا ليس إلا من قبيل

تعذيب النفس وذلك برؤيته مرة أخرى... هذا إلى مشكلة إيجاد مرافق.

وألحت شيلي عليها بالسؤال للمرة الثالثة ذلك الصباح عندما جاء ذكر الحفلة: «لا أدري ما الذي يمنعك من أن تطلبي من كريغ مرافقتك؟ وما دمت قد سبق وصارحته بشعورك الصادق نحوه، فهو حرّ إذن بأن يذهب معك أو يرفض ذلك.»

قالت ستيفاني: «ولكن هذا ليس حسناً مني، فهو يبدو وكأنني أشجعه على رؤيتي.»

قالت شيلي هازئة وقد بان الحنق على وجهها: «آه، دعك من ذلك، إنه رجل ناضج في الرابعة والعشرين يا ستيفاني. ويمكنه تماماً إعمال عقله. فقد سبق وأخبرته أنت بصراحة أن ليس هناك أمل في أن ينشأ بينكما حب. وسيبدو غريباً أن تدخلي منزل هانتر رايان دون شخص يرافقك فالدعوة تقول بصحبة مرافق، فكل شخص سيكون هناك مع شخص آخر.»

وأخيراً، قالت ستيفاني مراوغة بهدوء: «سأفكر بذلك.»

وكانت ما تزال تفكر في ذلك، وهي تقود سيارتها إلى حفلة منزل القرميد. ذلك أن شعورها الفطري بالعدالة منعها من أن تطلب من كريغ مرافقتها. ومع أنها كانت تعرف اناساً آخرين كان بإمكانها طلب ذلك من أحدهم، فإنها لم تفعل. على الأقل سيسمح لها حضورها بمفردها، أن تثبت حضورها لساعة أو نحوها، ثم تتسلل بعد ذلك خارجة دون أن يراها أحد. وكان توبي سيمضي الليلة في منزل صديق.

ولديها سيارتها الخاصة. وهكذا ستكون حرة طيلة المساء فتتصرف كما تشاء.

وعندما دخلت إلى باحة المنزل الذي كان مألوفاً لديها منذ شهور قلائل، شعرت بقلبها يخفق بشدة. لقد كان بالغ البرود في آخر مرة رأته فيها عندما صحبت توبي لإجراء الفحص عليه. وكان جافاً صارماً... ولكن ربما كانت رؤيتها له في ذلك المظهر، أفضل من رؤيتها له الآن بمظهره الطبيعي غير المتكلف. ما كان لها أبداً أن تستمع إلى نصيحة الدكتور ميتشيل بالقدوم. فهو على كل حال، لم يكن يعلم بحقيقة الوضع. ولا شك أن هانتر ما كان ليهتم في ما لو حضرت الحفلة أم لم تحضر. وسواء رحل إلى اميركا مصحوباً بتمنياتها أم لا.

ما الذي جعلها تضع نفسها في هذا الموضع الآن؟ وجلست تفكر لحظة بعد أن أوقفت سيارتها، تنظر إلى السيارات الأخرى من خلال زجاج سيارتها الميني، وهي تشعر بالتشاؤم. لقد كانت متفردة، على الأقل، في اختيارها لوسيلة قدومها. ذلك أن السيارات الأخرى كانت أنواعها من المرسيدس فصاعداً. وأغمضت عينيها بشدة، ثم تنفست بعمق قبل أن تتفحص زينتها في المرآة.

كانت قد أمضت اغلب نهارها، تجول في سوق المدينة حيث كانت مدرسة توبي، وهي تبحث عبثاً، عن ثوب مناسب تمضي به الحفلة ويمنحها شيئاً من الثقة بنفسها، لتنتهي أخيراً في متجر صغير غالي الثمن كان قد فتح حديثاً، وكان خالياً تقريباً من الزبائن بسبب اسعار بضائعه الباهظة. وهناك وجدت بالضبط ما كانت

تريد. وكانت الصعوبة الوحيدة هي الثمن والذي كان يوازي راتب شهرين. ولكن الثوب كان يستحق ذلك. كان الثوب والجاكتة التي تنزل إلى الركبتين طولاً، من الحرير المبطن وبلون العاج. وكان تفصيله الممتاز وقماشه الثمين يشكلان زينته الوحيدة. وعندما أحضرت إليها البائعة زوجاً من الأحذية، وبنفس لون قماش الثوب، أبدت إشارة القبول على الفور رغم أن الثمن جعلها تشهق ذعراً.

وهكذا هي الآن. وألقت نظرة أخرى طويلة على نفسها، ثم فتحت باب السيارة، قبل أن تغير عقلها وتعود إلى بيتها. انها لن تهرب، ليس الآن، هذا إلى أنها اعطت كلمتها للدكتور ميتشيل بأنها ستكون هنا. انها ليست بحاجة إلى قفل باب سيارتها، على الأقل. ونظرت إلى السيارات الأخرى هازئة، لاوية شفتيها. لا حاجة بها لذلك مطلقاً.

وعندما قرعت الجرس، كانت الأصوات تتصاعد من المنزل. وفتحت لها السيدة جونس الباب على الفور وقد تألق وجهها بشراً لرؤيتها، وهي تقول: «الآنسة ستيفاني.» كان السرور جلياً على وجه المرأة، وفي هذه اللحظة بالذات كانت ستيفاني بحاجة إلى كل اصدقائها. وتابعت المرأة تقول: «كم تبدين جميلة، يا عزيزتي... ان جمالك يخطف النظر، إذا سمحت لي بهذا القول.»

«إذا أنت لم تقولي ذلك، يا سيدة جونس، فسأقوله أنا حتماً.» وكان هذا صوته العميق الغني النبرات، سمعته قبل أن يقع بصرها عليه خلف السيدة جونس. وتابع هو قائلاً:

«ادخلي يا ستيفاني.» وكانت ابتسامة المضيف على فمه باردة، ولكن النظرة في عينيه لم تكن كذلك مطلقاً. وكان هو يسألها قائلاً: «هل رفيقك معك؟»

سألته قائلة: «رفيقي...؟» واسكتت نفسها بسرعة، ثم حملت نفسها على ابتسامة بنفس برود ابتسامته وهي تقول كاذبة بهدوء: «لقد أعاقه عن القدوم عمل طارىء في آخر لحظة.»

قال: «إنك بمفردك إذن.»

أجابته قائلة والابتسامة ما زالت على شفتيها: «نعم. ولكنني سأترك الحفلة باكراً. انك تفهم طبعاً.»

قال: «لا أفهم في الواقع. ولكن ربما ستعجبك الحفلة ما يجعلك تغيرين رأيك.»

وابتسم بكسل، ولكن الابتسامة لم تصل إلى عينيه. ما الذي كان يظنه؟ أخذت تسأل نفسها بذلك شاعرة بالاضطراب بينما كان يسير معها إلى داخل غرفة الجلوس الرئيسية التي كانت تفيض بجلساتها. وأين رفيقته؟ من تراها رفيقته بين كل هاته الفتيات؟ وأرغمت نفسها على التركيز على خطواتها وهو يتجه بها إلى النادل الذي كان يحمل صينية قامت عليها أكواب تتلألأ بمختلف انواع العصير والمشروبات الغازية. ذلك أن آخر ما كانت بحاجة إليه لاكمال هذه الأمسية، هو أن تتعثر بكعب حذائها البالغ العلو هذا، لتقع على وجهها.

سألته: «هل الجميع هنا؟»

أجاب: «لقد كنت الأخيرة. وكنت ابتدأت أظن انك لن تحضري.»

قالت: «أحقاً؟» وحاولت أن تطلق ضحكة خفيفة وكانت مسرورة من النتيجة. وتابعت تقول: «ما يحيرني هو أنك لاحظت عدم وجودي مع وجود كل هذا الجمع من الحضور.»

قال: «أحقاً حيرك هذا؟»

سألته ببرود: «انك إذن، راحل إلى اميركا، يا لك من محظوظ.»

قال موافقاً على كلامها: «نعم، يا لي من محظوظ.»

سألته: «وماذا عن بيتك؟ المنزل القرميد؟ هل ستبيعه؟»

قال ببطء: «انني لم أصمم على ذلك بعد. إن هذا يعتمد على الظروف.»

سألته: «يعتمد على أي ظرف؟ كنت أظن أنك سبق وقررت كل شيء.»

قال: «ستيفاني...» وفي هذه اللحظة رأت هي الدكتور ميتشيل يلوح لها بيده من الناحية الأخرى للغرفة، فلوحت له بيدها مستجيبة، وهي ترغم نفسها على الابتسام.

قالت له مستأذنة: «المعذرة يا هانتر.» وابتعدت عنه قبل أن يجد الوقت الكافي للتصرف، لتشق طريقها بين الجموع نحو الدكتور ميتشيل.

ابتسم لها الدكتور ميتشيل حين وصلت إليه، وهو يقول: «انها حفلة رائعة، أليس كذلك؟ وأنت تبدين جميلة، أليست هي كذلك، يا روز؟»

ابتسمت زوجته وهي تقول: «نعم، انها جميلة. ان شيلي وتوم هنا في مكان ما. هل جئت بمفردك، يا ستيفاني؟»

أجابت تقول: «حسناً، إنني لن أمكث طويلاً، ان كريغ لم يتمكن من الحضور.»

أشرق وجه السيدة ميتشيل بابتسامة وهي تقول: «آه، يا للأسف. على كل حال، لا اتوقع ان تبقي بمفردك هنا؟»

وأثناء حديثهما، لم تغفل عيناها ذلك الرجل الذي لحق بها، وهو يقول: «أريد أن اتحدث إليك بكلمة، يا ستيفاني.»

شعرت بوجهها يتوهج، وتمنت أن تحافظ على هدوء النفس. كلا. ليس بعد الآن. انه لن يقدم لها عرضاً مرة أخرى.

سألته قائلة: «نعم؟ ماذا تريد؟»

قال: «ليس هنا.» ونظر حوله وكأنه يجد الغرفة المليئة بالحضور ذوي الأناقة المترفة، كأنه يجدها كريهة في نظره، وتابع قائلاً: «في الخارج.»

قالت: «لا أريد أن أذهب إلى الخارج معك يا هانتر.» وعجبت للكلمات تخرج من بين شفتيها بسهولة لم تكن تتوقعها. ربما السبب هي المرارة التي كانت تشعر بها في اعماقها، وتابعت تقول: «ثم، ألا ينبغي أن تكون مع رفيقتك أثناء الحفلة؟ من هي، بالمناسبة؟» وأخذت تنظر حولها في أنحاء الغرفة المكتظة.

أجاب: «ليس لدي رفيقة.»

وأطلقت ستيفاني ضحكة وهي تقول: «كلا؟ كم هذا محزن. حسناً، أرجو السماح لي بأن اذهب...»

«كلا. لن أسمح.» وابتسم لشخص مار تحدث إليه باختصار. ولكن، لم يكن في عبوسها أي مزاح وهي

تقول: «إنني لم أحضر إلى هنا لكي أعامل بمثل هذه الغلظة...»

سألها بلطف: «لماذا جئت إلى هنا، في الحقيقة؟»

أجابت: «لكي أتمنى لك حظاً سعيداً.» إنها تعلم الآن ان هذا وقتها لكي تستعيد فيه كرامتها التي جرحت في آخر لقاء كان بينهما، وكذلك المذلة والارتباك اللذين سببهما اعترافها له بحبها قد احرقا لياليها الأرقة الطويلة الموحشة التي مرت عليها بعد ذلك. وتابعت تقول: «ثم لأكرر شكري لك من أجل توبي.»

قال وقد ضاقت عيناه: «نعم. فهمت. ألم يعرض كريغ عليك الزواج بعد؟»

قالت: «ماذا؟» كان التغيير في موضوع الحديث مفاجئاً إلى حد جعلها تحملق فيه.

قال يكرر قوله بلطف: «ألم يعرض عليك كريغ هاموند بعد، أن تصبحي زوجته؟ انك تتذكرين كريغ...؟»

أجابت بحدة وسرعة: «انني طبعاً أتذكر كريغ. وأتذكر أيضاً أنني سبق واخبرتك مرة أن نوع علاقتي به لا شأن لك بها.»

أجاب بهدوء: «هنالك علاقة إذن؟»

أجابت: «نعم.» ورفعت رأسها وهي تقف جامدة في مكانها، وكان وجهها شاحباً يبدو عليه الألم والمرارة. وأخذت تتضرع كي يصدقها. يجب أن يموت هذا الشيء الذي تعاني منه. أن يسحق مرة واحدة ولا يعود بعد ذلك. ليس المهم، في الواقع، ما إذا كان ما يزال يحب زوجته أم لا، فقد حطمه موتها كلياً ما جعله يحمل

حجراً في قلبه، وحدقت في عينيه الداكنتين... ما زالت تحبه.

قال أخيراً: «لا بأس.» وكان لاستسلامه المفاجيء وقع الصفعة على الوجه. وحدقت فيه ستيفاني دون ان تفهم وهو يومىء إليها برأسه، ثم يتركها ويعود بين الحضور بتكاسل. أتراه ذهب؟ أبهذا الشكل؟ وقال لها قلبها هازئاً، لقد ذهب طبعاً وماذا غير ذلك كنت تتوقعين؟

www.elromancia.com

الفصل التاسع

مرت الساعة التالية ببطء. وكانت ستيفاني أثناءها، منتبهة إلى كل شخص تحدث هانتر إليه، وكل حركة قام بها، بالرغم من أن الحضور كانوا ستين شخصاً على الأقل.

وكان متعهدو الطعام قد أقاموا مشاوي اللحم في آخر الحديقة، وعندما نظرت ستيفاني حولها في الغرفة التي انخفض عدد الحضور فيها، صممت على أن تهرب من خلال الأبواب الصغيرة التي تقود إلى الحديقة ثم تستدير حول المنزل إلى حيث سيارتها كانت تقف. ولكنها ما أن اجتازت مسافة قصيرة، حتى سمعت صوتاً اوقفها عن التقدم. «ستيفاني؟» كلمة واحدة فقط، ولكنها كانت كافية لأن تجعلها غاية في الاضطراب.

واستدارت تواجهه قائلة بصوت خشن: «إنني ذاهبة، يا هانتر. اشكرك لهذه الحفلة الجميلة...»

سألها: «هل سبق وأخبرتك كم تبدين جميلة هذه الليلة؟ وكيف انك رائعة إلى حد لا يصدق؟»

قالت: «هانتر...» وسكتت فجأة، ثم تنفست بعمق تتمالك بذلك أعصابها الثائرة. عليها أن تتصرف بشكل يحفظ كرامتها، وبغاية النضج والهدوء، وأخيراً قالت: «أشكرك. إنني ذاهبة.» وكان صوتها يرتجف بمزيج من المشاعر لم تستطع أن تميز واحداً منها. كيف يقول هذا الكلام؟ كيف؟

أجابها: «إنك لن تذهبي قبل أن نتبادل ذلك الحديث. هناك فوائد أكيدة لم تخطر لي على بال من قبل من وراء الوقوع في حب فتاة. هل ستكونين فتاة طيبة وتستمعين إلى ما سأقول؟»

تساءلت بضعف، عما إذا كانت لم تسمع جيداً. لا بد أن هذا ما حدث، واستدارت تواجهه ببطء، ورأسها يدور، ثم قالت: «حسناً؟»

نظر إليها بإمعان ثم قال: «هذا حسن.»

سألته: «ماذا تعني؟»

أجاب: «لقد قلت انك ستستمعين إلي.» وفجأة، دس يديه في جيبي بنطاله، ثم تراجع إلى الخلف خطوة، قال وقد غامت عيناه: «إنني أريدك، يا ستيفاني...»

صرخت قائلة وعيناها تتوهجان: «تريدني؟ وما في هذا؟ فأنت تريد أشياء كثيرة، أليس كذلك، يا هانتر؟»

هزّ رأسه ببطء وهو يقول: «كلا. كلا هذا ليس صحيحاً. ليس بعد أن عرفتك.»

قالت بصوت أبح متألم: «لا يهمني إذا كنت تريدني أم لا، فأنا أكرهك...»

راح يهمس مجدداً: «كان عليّ ان أدرك ان ليس بإمكاني أن أثق بأنك ستلتزمين الصمت. ولكن عليك أن تستمعي إلى ما سأقوله لك، يا ستيفاني، وبعد ذلك، إذا أردت أن تذهبي...» وسكت لحظة عاد يقول بعدها: «فقد أسمح لك بذلك، انني كما سبق وقلت، أريدك. ولكن إذا تركتني أنهي حديثي، فإن لدي الكثير لأقوله. إنني أريدك وبحاجة إليك وأحبك أكثر مما كنت أتصور أن

هذا ممكن. منذ ذلك الصباح الذي التقينا فيه، سيطرت على أيامي، ودمرت لياليّ. وقد كرهتك في البداية، لهذا... كرهتك رغم أنني أحببتك. هل يمكنك أن تفهمي ذلك؟»

همست بألم: «انني لا استطيع أن اصدقك.» وكان هذا صحيحاً. فهي لم تصدقه.

قال بهدوء: «ربما لا تصدقينني الآن. ولكنك ستفعلين في ما بعد. ومن ثم تقررين ما إذا كنت ستذهبين أو تبقين.»

قالت: «هانتر...»

عاد يقول ببطء: «في أول صباح تقابلنا فيه اعجبت بك. وهكذا عدت لأراك مجدداً... انني اعترف بذلك. فاتخذت السيارة وسيلة ممتازة لذلك، فتساعدني على أن أعود فأراك مرة أخرى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لكي أبدو أمامك بمظهر نبيل.» وسكت لحظة، ثم عاد يقول: «ولكن، حتى في ذلك الحين، كان هنالك شيء يقود تحركاتي، برغمي. شيء لم أشعر بمثله من قبل. وعندما علمت بظروفك من الدكتور ميتشيل، آلمني ذلك. ولكنني أدركت أنني إذا كنت أريد أن اصل إليك، وكنت أريد هذا فعلاً، فعليّ أن آخذ الأمور ببساطة.»

عند ذلك رأيتك مع ذلك الشاب. لقد تمنيت لو أضربه في ذلك الحين، ولم يكن ذلك المسكين يؤذي أحداً، ولكن الشعور الذي بعثه في نفسي...»

قاطعته قائلة: «ولكن عندما أوصلتني إلى منزلي في تلك الليلة، قلت أشياء...»

قاطعها بدوره متضايقاً: «انني أعرف ما كنت قلته. منذ

ذلك الحين، لم يمر يوم لم اشتم فيه نفسي. ولكنك قلت لي أن أذهب.»

«كفى يا هانتر. انك لم تكن تعني حقاً ما تقول، فأنا لا استطيع...»

قاطعها قائلاً: «ومنذ تلك الليلة، ازدادت مخاوفي. ولم يكن هذا يتفق مع صورة البطل، أليس كذلك؟» وابتسم وهو يتابع قائلاً: «من ناحية، كنت أريدك كثيراً إلى حد الألم، ومن ناحية أخرى كنت لا أفتأ أحدث نفسي بأن الارتباط بفتاة في الثالثة والعشرين، ما هو إلا انتحار. ولكنني مازلت لا أريد مواجهة ما كان يزعجني حقاً. وهو أنني وقعت في غرامك وكنت أجد راحة أكثر في أن أدعو ذلك انجذاب. فهذا كان الشيء الذي أفهمه. فأنا لم أعرف الحب قط من قبل... حتى انني لا أثق بشيء كهذا.»

رفعت إليه عينين واسعتين تبدو فيهما الحيرة، وهي تسأله قائلة: «ولكن زوجتك؟ لا بد أنك أحببتها.»

أجاب: «كلا، في الحقيقة. إن هذا وقت ظهور الحقائق، ومن الأفضل أن تعرفي كل شيء. كنت طائشاً عندما تزوجت من جينا وكنا، أنا وهي مجرد شابين. ولم يبد أي شيء من هذا حقيقياً. ثم، قبل أن تمرض مباشرة، انتبهت أنا إلى ما فعلت... بل إلى ما فعلنا. وجدت نفسي في التاسعة عشرة ومرتبطاً بزوجة وقريباً سأصبح أباً. وسأكون مسؤولاً عن شخصين، وفجأة، شعرت بكبر المسؤولية تثقل كاهلي. لم أكن اريد ذلك، وأحست جينا بهذا، رغم أننا لم نقل شيئاً، وعندما ماتت...» وهز رأسه ببطء وهو يقول: «تملكني، عندذلك، الندم، والشعور

بالذنب، والاشمئزاز من نفسي، إلى حد لم أكن استطيع احتماله. لقد كرهت نفسي، كرهت واقع أن ما امتزج بكل المشاعر الأخرى من ندم وأسى وحزن، كان هو الارتياح إلى موتها... ولكن هذا بقي موجوداً.»

وحدق في عينيها بعينين زائغتين وهو يقول: «والآن، ماذا تظنين بي؟ لقد كنت بحاجة إلى كبش فداء أتمسك به واخلص، بواسطته، من هذا كله، وهكذا صرت ألوم الأطباء لتقصيرهم في المحاولة إلى حد كاف. ثم صممت على تجاوز حدودي والقيام بما لا يستطيعه الآخرون، فلا أهتم إلا بالمريض، وبالمريض فقط.»

كانت عيناه دون قرار وهما تائهتان في الماضي، متابعاً قوله: «لم أكن أريد أن أتورط مرة أخرى. لم أكن أريد أن أكون مسؤولاً عن تعاسة شخص آخر. أردت أن أكون مسيطراً على حياتي، فإذا ساءت الأمور، اكون أنا الشخص الوحيد الذي سيصيبه الأذى. لأنني لا بد قد آذيت جينا، وهذا هو الأمر الذي لم استطع أن احتمل التفكير فيه سنوات كثيرة.»

سألته ستيفاني بلطف: «هل قالت لك هي ذلك؟»

أجاب: «كلا. كلا. انها لم تفعل. ولكننا، في النهاية، لم يكن ثمة وقت... فاعتقدنا... اعتقدنا أنها ستكون على ما يرام. انهم لم يخبرونا عن حقيقة الوضع قبل العملية. ويمكنني أن أقول ان الأطباء قد كذبوا علينا.» وهنا فهمت ستيفاني السبب في رفضه الحازم لأن يموه حقيقة وضع توبي، أو وضع أي شخص آخر، وكان هو يتابع قائلاً: «في ذلك الحين، كانت تحدث أشياء كثيرة خطأ، يا ستيفاني. لقد

توفي والداي خلال سنة أو نحوها من وفاة جينا، ما جعلني لا أريد احزاناً أخرى، ولا أية صلات عميقة أخرى مع أي انسان. ومن ثم ابتدأت اختار اصدقائي تبعاً لخطتي تلك. وهكذا سارت الأمور معي كالحلم مدة تسعة عشر عاماً. إلى أن تفجرت في حياتي حزمة عنيفة غاضبة من الشعر الذهبي فنسفتها اشتاتاً، وعدت ضعيفاً هشاً مرة أخرى، أنا، هانتر رايان. إنني لم استطع مقاومة ذلك، يا ستيفاني.»

سألته بفتور: «ولكنك كنت تريدني أن اتزوج كريغ؟ لقد قلت لي ذلك بنفسك؟»

أجاب وهو ينظر إليها متجهم الوجه: «كنت سأقتله قبل أن يكون ذلك. وفي كل مرة كنت أراه بجانبك، كانت تراودني رغبة في خنقه. ولكنني فكرت في أنه مناسب لك... فهو شاب وذو ماض طبيعي لم تصدمه الحياة. ولكن هذه الأفكار النبيلة كانت لا تلبث ان تتلاشى لدى تفكيري في أنه سيكون زوجك. ذلك المساء، عندما طاش عقلي، وأخبرتني أنت أنك تحبينني، شعرت بالرعب.» وأصبح صوته مليئاً بالسخرية اللاذعة من نفسه وهو يتابع قائلاً: «إذ أنني حتى ذلك الحين، كنت قد أقنعت نفسي أن من يهمك هو كريغ هاموند. ارأيت حماقتي هذه؟ كنت أريد أن اعتقد أنك مجرد صديقة فقط، يا ستيفاني، ولكنني نسيت كم هو ضيق عالمي هذا وأن هناك ألوفاً من الناس مازال لديهم مبادىء يعيشون بها، أو يموتون لأجلها إذا كان هذا ضرورياً، وأنت واحدة منهم.»

كان يبدو عليه نوع من الضعف واللين أحست هي أنه

يجد صعوبة في إظهاره لها، لكنه مع هذا، كان يبديه.

وعاد يقول: «لقد كنت أحمق، يا ستيفاني، ولم أكن أستحقك. وأنا اعرف ذلك. ولا أدري إذا كنت ما تزالين تحبينني كما سبق وقلت، ولكنني أعلم انك لا تريدين كريغ هاموند، فإذا كذبت عليّ بهذا الشأن.. إذا أنت كذبت عليّ فربما السبب هو أنني لم اقتل حبك نهائياً.»

سألته بصوت خافت: «وما الذي جعلك تعلم أنني لا أقابله؟»

أجاب: «انني اعرف كل ما قمت به، وكل شخص قابلته، وذلك أثناء الأسابيع القليلة الأخيرة.» وقال ذلك دون أدنى اثر للاعتذار، وهو يتابع قائلاً: «كان ذلك في الواقع، بعد عملية توبي بيوم واحد. إنني ما زلت لا استطيع التصديق تماماً أنك كنت تعنين ما تقولين، وأن واحدة مثلك بإمكانها أن تحب واحداً مثلي.» وهز رأسه ببطء متابعاً: «لقد خرجت حينها لانتظرك في السيارة وأنا أكاد أجن. وعندما أقبلت، كنت من البرود والهدوء بحيث ظننت أنني نسفت حبك ذاك.»

فهمست ببطء: «ولكنك أنت كنت بارد المظهر. ولم يكن يبدو عليك الاهتمام...»

قاطعها قائلاً: «بل كنت مهتماً.» وفي تلك اللحظة، أدركت هي أن كل ما أدركته عنه، كان صواباً. فقد كانت شخصية هانتر الحقيقة مؤلفة من جوانب عديدة، كان الجانب الخارجي الخشن العنيف ليس سوى جزء ضئيل منها. لقد كانت على صواب في حبها له، نعم، لقد كانت على صواب.

عاد يتحدث فقال: «لقد تلقيت عرضاً من أميركا منذ أيام، ولكن لم يكن هناك أمل في قبولي هذا. فأنا لم استطع أن اصبح بعيداً عنك. وحتى لو انتهى كل شيء بيننا، فقد كان عليّ أن استمر في المحاولة بأي شكل. ذلك أنني واجهت الحقيقة التي كنت أهرب منها منذ اللحظة التي رأيتك فيها. وهي أنني احببتك. وأنك تعنين لي كل شيء. وكنت في حالة ستدفعيني إلى ارتكاب جريمة في ما لو أنك تزوجت من كريغ هاموند.»

نظر إليها بسرور، ثم تابع قائلاً: «ولكنك لم تفعلي. وهذه الحقيقة هي التي جعلتني أهدأ بعد أن ظننت أنني قد قتلت حبك لي... لم استطع أن أقوم بعملي، لم استطع ان أنام. وعندما اتصلت بالدكتور ميتشيل، لم يشأ أن يتحدث عنك، إلى أن حدثته عن العرض الذي جاءني من اميركا. وعندما علم بأنني سأبتعد عدة آلاف من الأميال وذلك بعد أسابيع، تغير موقفه كلياً.»

قالت بسرعة: «انه يعتبر نفسه مكان أبي، ثم أنه لم يكن موافقاً...» وسكتت فجأة. فأكمل كلامها ساخراً: «لم يكن موافقاً على طريقة حياتي؟ ليس هناك أب تعجبه هذه الطريقة. وهكذا خطرت لي فكرة هذه الحفلة رغم أنني سبق ورفضت عرض السفر إلى أميركا.»

سألته بضعف: «هل هذه الحفلة هي لأجلي إذن؟»

أجابها بهدوء: «لو كنت رفضت الدعوة، لكنت اتخذت ذلك عذراً للذهاب لرؤيتك والسؤال عن السبب. أما إذا قبلت الحضور، فقد كنت سأراك طبعاً. في كلتا الحالتين، كنت سأراك، لأطلب منك أن تضعي حداً لهذا.» وبينما كان يخرج

علبة من جيبه، خفق قلبها حناناً وهي ترى تأثراً بالغاً يكسو ملامحه، ونظرة طفل ضائع تطل من عينيه، وفجأة، أدركت أنه لم يكن متأكداً من قبولها. لقد كان هانتر رايان الآن يبدو عصبياً كقطعة صغيرة.

قال بلطف وهي تحدق في الماسة الرائعة المتألقة وسط الخاتم الذهبي: «إذا أنت قبلت به، ضعيه في اصبعك من اليد اليسرى. أني امنح معه قلبي يا ستيفاني. فأنا أحبك. أحبك اكثر مما أحب رجل امرأة قط.»

فهمست بحيرة وقد شعرت بالوهن يدب فيها: «هل تعرض عليّ الزواج؟»

أجاب ببساطة: «إنني لا استطيع أن أعيش من دونك، ولا أتصور أن يكون ذلك لدقيقة واحدة بعد الآن، حتى ولا لحظة. إنني أريد أن آخذك أنت وتوبي تحت رعايتي، واحبكما واشعر بالقلق لأجلكما. أريد هذا كله، يا ستيفاني.»

فهتفت قائلة: «هانتر.»

قال لها بلطف: «أرأيت. لا أستطيع ضبط نفسي، ولكنني بحاجة إلى أن اخبرك بشيء، يا ستيفاني، وهو، في حالة ظننت أن رباط الزواج هذا ما هو إلا وسيلة لامتلاكك، ثم لابعادك عن كريغ هاموند، في حالة ظنك هذا، عليك أن تعلمي أن هذين الشيئين هما موجودان فعلاً، ولكن بجانبهما اشياء اكثر بكثير. إنني أريد امتلاكك لأنني احبك. أريد أن يكون لي ولد منك. أن نعيش معاً ونكبر معاً. أريد أن أقوم وإياك بألف شيء وشيء مما تتألف منه الحياة اليومية. وكل هذا بحق شرعي. فأنا أريد أن أكون زوجك، يا

ستيفاني. انني أرغب في ذلك أكثر مما رغبت في أي شيء في حياتي.»

فهمست بهدوء، وعيناها تشعان حباً: «وأنا أريد أن أكون زوجتك. إنني أحبك يا هانتر، وسأحبك على الدوام.»

• • •

«ما الذي تفعلينه؟»

«إنني اكتب رسالة.»

وابتسمت ستيفاني لهانتر الذي خرج إليها من الغرفة في تلك الفيلا الرائعة الجمال على شاطىء البحر الكاريبي، سائراً بتكاسل وزهو، وقالت: «ان من مساوىء الزواج السريع هو عدم وجود فرصة لابلاغ الآخرين بذلك.»

قال: «إنني لم استطع الانتظار... وبالمناسبة...»

قالت له تغيظه: «ألا تدعني أنهي رسالتي أولاً؟ ثم انهم سيحضرون لنا طعام الإفطار الآن.»

قال: «إننا الآن في شهر العسل.»

كانت هي تهمس: «هانتر، وفي كل مرة أكون فيها معك، أشعر بأنني اطير إلى مكان آخر حيث لا شيء هناك سوى حبنا. لشد ما أحبك لا أصدق أننا امضينا هنا ثلاثة أيام. وأنني حقاً زوجة هانتر رايان.»

وأطاح النسيم الذي كان يهب من النافذة بالرسالة التي كانت بيدها، فسقطت على الأرض دون أن يلحظها أحد منهما.

عزيزتي فيكي،

إنك لن تصدقي أبداً من أين اكتب إليك هذه الرسالة، أو

الذي سأخبرك به الآن. فإذا كنت واقفة، فتشي عن مقعد لتجلسي عليه قبل أن تبدإي بالقراءة. والآن، لعلك تذكرين ما سبق وقلته لك في آخر رسالة كتبتها إليك، وهو أن لا شيء يحدث أبداً في قريتي بريبروك هذه، وأن حياتي مرسومة سلفاً لسنوات عديدة قادمة دون أمل في أي تغيير... حسناً، إن ما سأبدأ به هو...»

تمـــــت

www.elromancia.com